مُتصوَّر الموضوع في الدراسات السيميائيّة *

The concept of "the subject" in semiotic studies

أ.د. أحمد يوسف
أكاديمي جزائريّ، جامعة السلطان قابوس
Ahyoucef333@gmail.com

ملخص: يتناول هذا البحث متصوّر "الموضوع" في الدراسات السيميائيّة، ويأتي على عرض استخداماته في العلوم والفلسفة والمنطق ونقدها، وينطلق من أنّ الموضوع هو الذي يحكم العلاقة بين العلامة والعالم من منظور سيميائيّات العالم تعميمًا وسيميائيّات العالم الطبيعيّ تخصيصًا، ويركز على منطلقاته السيميائيّة، ويقف على مرجعيّته الأنطولوجيّة والمنطقيّة، والطرائق المنهجيّة التي سلكتها هذه الدراسات سواء أتعلّق الأمر بموضوع العالم في سيميائيّات ش. س. بورس أم بعالم الدلالة المحايث في سيميائيّات ڤريماص التي انتقلت من حالات الأشياء إلى حالات النفس، فصارت إلى سيميائيّات الموضوع الذي يدرس العالم المحسوس على مستوى التعبير وعالم الأفكار على مستوى المحتوى؛ لينتهي إلى خاتمة تبيّن لنا أوجه العلاقة بين العلامة والعالم.

الكلمات المفتاحية : العلامة – العالم – الموضوع – موضوع القيمة – الشيء.

Abstract : This research deals with the concept of "the subject" in semiotic studies. It presents and criticizes its uses in science, philosophy and logic. It proceeds from the fact that the subject is the one that governs the relationship between the sign and the world from the perspective of the semiotics of the world in general and the semiotics of the natural world in particular. The research focuses on its semiotic premises and stands on its Ontology and logic reference. The methodological methods used by these studies, whether it is related to the topic of the world in the semiotics of Sh. s. Porus or the immanent world of semantics in Rimas semiotics, which moved from the states of things to the states of the soul and became the semiotics of the subject that studies the tangible world at the level of expression and the world of ideas at the level of content. To conclude with a conclusion that shows us the aspects of the relationship between the sign and the world.

Keywords: the sign - the world - the word – the value subject - the thing.

*

تاريخ استلام البحث: 2021/07/13	تاريخ قبول البحث: 2021/08/02	تاريخ النشر:2021/10/15

في البدء كان غموض اللغة الطبيعيّة:

يبدو أنّه لا سبيل إلى الإفلات من ضبابيّة اللغة الطبيعيّة وغموض ألفاظها واعتياص معانيها ووعورة مسالكها، وحتى ترجمة هذه الألفاظ من لغة إلى لغات أخرى إلى درجة أنّهم وصفوا هذا الصنيع بالخيانة الجميلة، والتعبير عن الأفكار بالألفاظ إمّا أن يكون واضحًا، وإمّا أن يكون غامضًا، ومن الغموض تبدأ مغامرة الإنسان في التفكير لتنتهي في العصر الحديث إلى ابتداع لغة اصطناعيّة تمجّد رِفعة الحساب، وتُبخس وَضَاعة الخطاب، وتتخلّص من أثقال لغة الإنسان الطبيعيّة وأوزارها، ومازال الحلم قائمًا يراود البشر في بناء لغة كونيّة يتفاهمون بها كما بدأها أوّل مرّة غوتفريد لايبنتز (1646-1716) Gottfried Leibniz، ولكن عند النِطاح يُغلَب الكبش الأجمّ.

ومن هذه الألفاظ التي يتلبّسها الغموض المتصوَّر (*concept*) والمفهوم (*notion*)، والغرض من السعي إلى إزالة اللبس الإحاطة بموضوع المعرفة المقصود وطرائق تسميّة المحتوى المعرفيّ إنْ من الوجهة الذهنيّة (العقليّة)، وإنْ من الوجهة الإبستيمولوجيّة، وإنْ من الوجهة التعليميّة (التربويّة). ولقد اصطفينا مصطلح المتصوَّر[1] الذي يقابل عندنا (*concept*) علمًا أنّ المتصوّر والمفهوم كليهما وحدة مجرّدة وغامضة، وإنْ ظهرت ملامح المتصوَّر من حيث هو فكرة أقلّ غموضًا من المفهوم، وقد جعل فردينان دو سوسير (1857-1913) Ferdinand de Saussure المتصوّر ركنًا من أركان العلامة اللسانيّة الذي يمثّل الصورة الذهنيّة، ثم استقرّ بعد ذلك على استعمال مصطلح المدلول.

من غير المنطقيّ أن يكون مطلب الطفل مخطوءًا إذا سئل أن يرسم شجرة؛ إذ سينطلق من تصوّرات الانطباع الأول الذي تركته الصورة الحسيّة للشجرة في عينه أثناء إدراكه الكليّ (الغشطالت)، وقد تكرّرت لديه رؤية الشيء الذي التقطه عينه، والذي لا ريب فيه أنّ العين ركّزت على جزء من سطح هذا الشيء، وأهملت جهات أخرى حتى صارت فكرة قارة في ذهنه. وهذا ليس بخلاف الإدراك الغشطالتيّ، وعندما يريد استرجاع هذه الصورة الحسيّة واستحضارها عند الطلب يهرع إلى ذاكرته.

لا ينشأ الشيء المتمثّل في موضوع علامة الشجرة ((إلّا عندما يرتبط مجموع هذه العلامات بجميع العلامات الأخرى))[2]. ولهذا قد يرسم "زيتونة" أو "نخلة" أو أي فرد من أفراد المتصوّر أو ما شاء له عطاء ذهنه في اصطفاء العلامات في صورتها الذهنيّة أن يرسمها؛ لأنّ مفهوم الشجرة غير محدد، وفكرته غامضة، ويكون صنيعه في هذه الحالة صوابًا، وربّ رمية من غير رام. وعلى العكس من ذلك

لو طلبنا منه أن يرسم "نخلة" دون أن يرسم "زيتونة"، فهو حينئذ ينصرف إلى خصوص الموضوع، لا إلى عمومه، فيقوم بانتخاب العلامة المطلوبة؛ لأنّنا حدّدنا له الفرد المقصود من المفهوم.

إنّ المتصورَّ يجعله يميّز بين أفراد ماصدق الشجرة، وهي تطابق مفهوم المجموعة في المنطق الرياضيّ، ولنرمز لهذه المجموعة بـ: **س** (الزيتون والتين والنخيل) على أساس الخصائص والصفات والكيفيّات. ولنستبدل أفراد الماصدق إلى عناصر تؤلّف المجموعة (أ، ب، ج). فيتحوّل الملفوظ إلى صيغة رياضيّة ومنطقيّة على النحو الآتيّ: س = {أ ،ب ، ج} ؛ فإنّ كلًّا من أ ∋ س و ب ∋ س و ج ∋ س تبدو صحيحة من الوجهة المنطقيّة، وأنّ رسومات الطفل صحيحة، فهي تعدّ من العوالم الممكنة التي تكون فيه القضايا صادقة، فتتحوّل إلى صفات له. والملاحظ أنّ الصدق المنطقيّ في هذه العوالم تحليليّ. والحديث في هذا الموضوع لا توصد أبوابه، ولا تنقضي عجائبه.

يزداد التصوّر وضوحًا إذا كان المُدرِك ابن بيئة هذه الأنواع من الأشجار، أو كان ذا خبرة مثل الفلّاح، وذا تخصص مثل المهندس الزراعيّ، أو ذا موهبة مثل الفنان. وهكذا يبدو المفهوم معطى ومُدْرَكًا في مقابل المتصورَّ الذي هو مركّب وذو طبيعة تصوّريّة، ويخضع لتحديدات علميّة دقيقة، ويمكن ضبط دلالته بالمقوّمات (المعانم)، وينبغي أن يكون ذلك مرتبطًا بمجال الإحالة؛ فلا تحصل له الدلالة خارجها، وهذا ما دقّق فيه غوتلب فريجه (1925-1848) Gottlob Frege النظر في دراسته الرائدة للمعنى والإحالة، والتي لا يُستَقَى منها إلّا بالسّانِية من الإبل.

يشير أندري لالاند (1963-1867) André Lalande في المعجم الموسوعيّ إلى أنّ المتصوَّر[3] (concept) أوسع من المفهوم، وأنّ له وجودًا قبليًّا يتّصف بالدّقة، وله وجودًا بعديًّا لا يتّصف بالوضوح؛ بيد أنّ التجريبيّين لا يسلّمون بوجود المتصوّرات القبليّة. لقد ميّز المناطقة بين المُتصوّر (المفهوم) والماصدق[4]، والتصوّر كونه حضورًا ذهنيًّا عندهم إدراك معنى المفرد من دون حكم صريح أي من دون إثبات أو نفي، أمّا الماصدق فهو ما يجري عليه الحكم بإثبات أمر لأمر بالفعل أو نفيه بالفعل.

إنّ لكلّ متصوّر ماصدقًا، وأنّ لكل مجموعة أفراد متصوّرًا. وستكون مقولة "التصوير" (figuration) منعطفًا -كما سيأتي بيان ذلك لاحقًا- في السيميائيّات السرديّة، وانتقالها من طور العلامة إلى طور الخطاب. وهناك النزعة التصوّريّة (conceptualisme) التي لا تجاري المنطق في

النظر إلى المتصوَّر والماصدق، فلا ترى في الأفكار أنّها مجرّد علامات تنطبق على مجموعة من الأفراد، بل هي سيرورة إجرائيّة تختصّ بطبيعة الفكر.

تطوّر تاريخ المفاهيم، وترك معه إرثًا ثقيلًا من الالتباس، وسعى علم الاصطلاح سعيًا محمودًا إلى سدّ بعض الفجوات، فكان ((جامعًا لمفاتيح العلوم وأوائل الصناعات))[5]؛ إذ هُجِرت كلمة (entendre) في تعارضها مع كلمة (imaginer) التي كان يصطنعها رونيه ديكارت (1596-1650) René Descartes وأشياعه لصالح التصوّر. وإذا كانت المادّة قوّة، فإنّ الصورة فعلًا، وهذا ما ينطبق على السرد من حيث إنّه مادة مجرّدة لها وجود بالقوّة، والخطاب من حيث هو متتاليّة من الصور المجسّدة لها وجود بالفعل. ومن المعلوم لدى مُحِبِّي الحكمة أنّ المادّة عند إيمانويل كانط (1724-1804) Immanuel Kant موضوع للحدس الحسيّ، في حين أنّ الصورة ولكونها رابطة في الفكر تساعد على تركيب الحكم الكليّ الضروريّ.

ما الموضوع؟

الموضوع أكثر المتصوِّرات إشكالًا، وأكثرها اشتباكًا مع المفاهيم المجاورة له، بل أكثرها تشعبًّا في العلوم والمعارف، وهو عنصر مشترك بين العلامة والعالم، وركن من أركان العلم، ويعدّ من مسائل علم المناهج، به تماز العلوم بعضها عن بعض، وبه تُعرَف. إنّ موضوع العلم ((كل ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية، كبدن الإنسان لعلم الطب، وكالكلمات لعلم النحو))[6]، ولهذا كان العلم يبحث عن أعراض الموضوع الذاتيّة، ومن ذلك نسبة موضوع الإنسان إلى علم الإناسة (الأنثروبولوجيا)، والعلامة إلى السيميائيّات، والعالم والكون إلى الفلك والفيزياء وعلوم الفضاء، والسلوك إلى علم النفس...إلخ. فكان ((محل العرض المختص به، وقيل هو الأمر الموجود في الذهن))[7]، والبحث فيه عن عوارضه الذاتيّة شرطٌ ليغدو الأمر علمًا. ومنذ الوهلة الأولى يخرط مفهوم "الموضوع" في شأن العلوم المعرفيّة التي تعتني بكلّ ما له صلة بمعالجة المعلومة ذهنيًّا، وهذا يقتضي التحرك خارج سياج السيميائيّات اللسانيّة (sémiolinguistique) للنظر في موضوع الدلالات المفتوحة واشتغال العلامة الذي هو أساس الإدراك والمعرفة (cognition).

دلالته المعجميّة:

الموضوع في اللغة العربيّة اسم مفعول من مصدر (وَضَعَ[8])، وجمعه مواضيع وموضوعات، وهو مادة يستند إليها الكاتب في بناء كلامه، ويعني المادة مثل قولنا موضوع الدرس بمعنى مادته، وهو

المكذوب والمختلق في قولنا: "حديث موضوع" من أقوال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، والموضوع هو الشيء الي يُشار إليه إشارة حسيّة، ولهذا الشيء وجود مستقلّ بذاته، لا شأن له بالعلامة التي تمثّله.

يأتي الموضوع في اللغة الإغريقيّة (αντικείμενο) باصطلاحاته النحويّة في الكلمة ومع الجملة، وفي اللغة اللاتينيّة (object)، وفي اللغة الألمانيّة (Objekt) في مقابل المحمول (Prädikat)، وفي اللغة الإنجليزيّة بلفظ (subject)، ويقابله مصطلح المحمول (predicate)، ويعني الشيء الذي نوقش أو دُرِس، وهو مجال المعرفة الذي يُتعلَّم في المدرسة أو يبحث فيه في الكليّات والجامعات، ويكون شخصًا أو شيئًا أو مادة الكتابة أو الصورة.

أمّا في اللغة الفرنسيّة بلفظين (objet) و(sujet)، وله معنيان الأوّل يعني الشيء الذي يمكن إدراك طبيعته بالرؤية واللمس، ومن صفته الصلابة، والثاني يعني المادة (شيء خامل من دون فكر). ومن بين مرادفاته في الفرنسيّة (الجسم والمادة والثيمة والآلة "bidule" والسلعة "article" والغرض " but" والإناء "ustensile "). وتقابل هذه الثنائية (الذات والموضوع) في الخطاطة العامليّة.

والمشترك بين هذه اللغات أنّ الموضوع يرد في الاستعمال مادة وشيئًا، وله مترادفات عديدة، ودلالات تختلف باختلاف السياق الذي يوضع فيه، وبالمجال المعرفيّ الذي يوجد فيه، ولا إشارة لعلاقته بالعلامة والعالم إلّا إذا قابلنا من الناحية المنطقيّة الموضوع بالمحمول. وإذا كان هذا شأن دلالاته اللغويّة، فإنّ دلالته الاصطلاحيّة لا تقلّ اعتياصًا عن الدلالة اللغويّة، بل هي أكثر تعقيدًا، وأنّ حدوده أكثر تشعّبًا وتباينًا من حقل معرفيّ إلى آخر.

سنتقفّى آثاره في هذه الدراسة بالتقصّي والبحث في بعض شعاب هذه المعارف، وينصرف تركيزنا تحديدًا إلى الدراسات السيميائيّة ومن ضمنها المنطق. علمًا أنّنا لسنا من أشياع الذين يضعون حدودًا فاصلة بين السيميائيّات والمنطق وفلسفة اللغة والعلوم الأخرى، وإن كنا نقرّ بأنّ حرمة الاختصاص مطلوبة، وفي أحايين واجبة؛ لكن التراحم بين العلوم أبعد من أن يكون نقيصة، بل نراه من باب الفضيلة.

حدود الموضوع:

يذكر لالاند أربعة حدود للموضوع[9]، ويورد المعنى العام له؛ إذ هو كل ما هو ماثل أمامنا، وما نراه، وندرك وجوده بالحسّ، فهو بالمعنى اللغويّ السابق شيء ومادة، ويدلّ اصطلاحًا على ما تقع

عليه عمليّة التفكر، بخلاف ما يُعتمد عليه في التفكير. والموضوع عند بليز باسكال (1623-1662) Blaise Pascal هو اكتشاف الحقيقة، ويعدّها مرحلة من مراحل تقصّيها. وعندما يمثّل الموضوع الإدراك الخارجيّ للعالم يتّسم بالثبات والاستقلال عن الذات المُدركة العاقلة؛ ولا سيما إذا أضحى الموضوع شيئًا ماديًّا كما هو الشأن في العلامات الطبيعيّة (المؤشرات).

وإذا طُلِب الإدراك لذاته كان خارج اعتناء السيميائيّات، وحتى إذا سلمنا جدلًا أنّ المشار إليه الغائب لا يُنظَر إليه على أنّه موضوع فيزيائيّ بقدر ما هو صورة ذهنيّة أو مدلول في التعريف الثنائيّ للعلامة؛ فإنّ العلامات الجوهريّة شأنها شأن العلامات الماديّة[10] لا يصحّ أن يكون "المرجع" شرطًا مُحدِّدًا لها. إنّ الإدراك كونه إحساسًا بأشياء العالم الخارجيّة والعلاقات القائمة بينها يضطلع بتسمية هذه الأشياء عبر العلامات والإشارات. وهذه التسميّة ما هي إلّا حاصل فهم واستيعاب لعمليّة الإدراك؛ ولكن موضوع العالم الخارجيّ وحقيقة الأشياء ووجودها من المنظور السيميائيّ إنّما يحصل نتيجة النشاط الذهنيّ للمُدرِك. وهذا الذي عليه رأي ديكارت، فقوة الحكم على حقيقة الأشياء تعود إلى سلطان الذهن وإنْ ظنّ النّاس بحسن النيّة أنّ في الحواس مُراغَمًا كثيرًا، وهم على هذا الاعتقاد ماضون، وعلى دربه سائرون.

تقتضي المؤشرات علاقة جواريّة وسببيّة بين الإشارة والموضوع الطبيعيّ؛ إذ لا يعد أثر البخار على زجاج النافذة مؤشرًا إلّا إذا كان الشخص حيًّا وغائبًا، ويقتضي سياقًا معيّنًا مثل وجود البرودة والحرارة. وليست العلاقة السببيّة بين الموضوع الفيزيائيّ الحاضر (الدخان) والموضوع الفيزيائيّ الغائب (النار) بالسهولة التي نتصوّرها؛ إذ ثمّة مثال الأصبع الذي يشير إلى الموضوع القريب أو البعيد الذي لا يتطلّب غياب المشار إليه (القمر مثلًا). وإذا وقفنا على المعيّنات في التلفظ، ومنها اسم الإشارة والضمير والظرف والبنية الزمنيّة؛ فإنّ التعيين لا ينصرف بالضرورة إلى الموضوع الفيزيائيّ في الخارج (المرجع)، بل إلى الإحالة الداخليّة في الملفوظ، وقد يشير فقط إلى ما تضمّنه السياق، بل السياق يصبح حالئذ شرطًا لصدق الملفوظ من الناحية المنطقيّة.

هناك من خصّ الموضوع بحاسة اللمس مثل مين دو بيران (1766-1824) Maine de Biran الذي يرى أنّ الموضوع ما قام ((فقط على اللمس...الفعل الذي يجعلنا نتعرّف إلى الماهية الدائمة لـ**موضوع** بعينه، يمثل لحواسنا في زمنين منفصلين عن وجودنا))[11]. وقد نجد الموضوع الذي

يماز بالاستقلال التام عن المعرفة التي هي في نظر أبي حامد الغزاليّ (450هـ - 505 هـ) تصوّر يروم اقتناص الحدّ.

وفي المقابل يميّز ديكارت بين الشيء وفكرته، وقياسًا على ذلك، فإنّ سيميائيّاته التأمليّة التي كانت تروم البرهنة على وجود الله، فترى فرقًا بين العالم والعلامة التي تمثّله، وتعتقد أنّ الذات شيء يفكّر[12]، ومدار وجود العالم على الذات المُفكّرة، فلا سبيل إلى إدراك العالم ووجوده إلّا بها. والرأي الذي عليه جورج باركلي (1685- 1753) George Berkely أنّ لا فصل بين وجود الشيء وإدراكه. وما ينسب من أخطاء إلى الحواس، فإنّ كانط يحمّل المسؤوليّة إلى الذهن لا إلى الحواس.

إنّ ثمّة بعدًا ماديًّا ملموسًا يتعلّق بمتصوّر الموضوع، وبعدًا معنويًّا مجرّدًا ينصرف إلى موضوع المعرفة، وعليه توجد موضوعات تنتمي إلى عالم الطبيعة، وهي محسوسة يركّز عليها العلم الطبيعيّ (الطب والفلك والفيزياء...)، وموضوعات تنتمي إلى عالم الأذهان التي بها تُكتسَب العلوم عن طريق الحواس الظاهرة والباطنة، وهي عبارة عن صور مجرّدة، وعليها مدار العوالم الذهنيّة التي تقتضي الفهم والتعقّل والتأمّل والفطنة. فموضوعات العالم الطبيعيّ نعاينها من حيث هي أجسام وظواهر طبيعيّة مرتبطة بالخبرات التي يوفّرها لنا الإدراك، وتعدّ مصدرًا من مصادر العلامات، ولهذا قيل إنّ الطبيعة ((بدء حركة، وانتهاء سكون))[13]. وعليه فإنّ المؤشرات تقيم علاقات فيزيائيّة مع الموضوع الذي هو بمثابة المرجع الذي تحيل عليه، وينطبق عليها ما نلفيه في اللغات الطبيعيّة مثل أسماء الإشارة وأسماء العلم.

ومن الصعوبة بمكان أن نحدّد ماهيّة "الموضوع الطبيعيّ" ومفهومه وحدوده مثلما يجد العلماء والفلاسفة في الإجابة عن سؤال ما الكون؟ وما تخومه؟ صعوبات جمّة، ولهذا يبدو أنّ تحديد متصوّر "الموضوع" ليس بالسهولة التي قد يتوهمها المرء، والمسألة تنسحب أيضًا على أصغر ما في هذا الكون ألا وهي "الذرّة"، وبناء على ذلك ميّزوا بين العالم والكون على أساس أنّ العالم متناه، والكون غير متناه، ونُظِر أيضًا إلى الكون على أنّه الوجود والعدم هو انتفاؤه[14]، بيد أنّ هذا العالم بوصفه موضوعًا يُصبح علامة فقط عندما يُحال عليه دلاليًّا، فنضفي على "المرجع" صبغة سيميائيّة. واللافت أنّ أمبرتو إيكو[15] (1932-2016) Umberto Eco وسيميائيّين آخرين يسلمون بالطبيعة الجِواريّة للعلامات الأيقونيّة في علاقتها بالموضوع، ولا يتحمّسون إلى مبدأ المشابهة.

تتشكّل المعرفة من ذات مدرِكة، وموضوع مُدرَك، ولهذا قيل إنّ الموضوع هو المُدرَك، ولا يتوقف الأمر عند هذا الحدّ، بل يتعدّى إلى طبيعة العلاقة بين الذات وموضوع الإدراك. وهي بالنسبة

إلى ما نحن بصدده تمثّل في العلامة التي غدت عند بورس "الإنسان"، والإنسان هو الذي يتوجّه من المنظور السيميائيّ الظاهراتيّ إلى الشيء بوعيه بعد أن يضع "العالم" بين قوسين؛ ليضفي عليه قصدًا، فتصبح كينونته ذات دلالة بعد عمليّة تذاوتيّة intersubjectivity، وهو عِماد الفلسفة الظاهراتيّة من حيث إنّ الوعي هو وعي بشيء ما. وقد كان للإدراك فضلٌ في استدعاء موضوع الجسم إلى حقل الدراسات السيميائيّة والظاهراتيّة؛ إذ إنّ لإدراك الشيء تأثيرَه الماديَّ في الجسم، ومنه يتولّد الإحساس الذي صار له مقامٌ حَسَنٌ وكريمٌ في سيميائيّات الأهواء، ولكن يبقى هذا الإدراك لأشياء العالم من منظور إميل شارتيه المعروف بآلان (1868- 1951) Emile Chartier Alain في حكم الانتظار أو التوقّع، وهذا ما تمثِّله العلامات الطبيعيّة مثل المؤشرات (الأمارات).

سبق لكانط[16] أن ((اقترح تمييزًا طريفًا بين لفظ (ding) للدلة على الشيء بعامة، ولفظ (objekt) للدلالة على موضوع المعرفة، ولفظ (Gegenstand) للدلالة على الموضوع في العالم))[17]. واعتبر لايبنتز أنّ المفهوم عبارة عن مصطلح منطقيّ يدلّ على الفكرة التي نكوّنها عن الشيء، وهو في عرف السيميائيّات الإسلاميّة علامة يحصل منها الفهم "في غير محل النُطق"، بمعنى المقول عنه الذي يقابل المحمول؛ ولكن هذه المسألة بالغة التعقيد، وفي غاية الغموض، ولا سبيل إلى حلّ معضلتها بإحلال الوحدة اللسانيّة (العلامة) محلّ ثنائيّة "الشيء والمتصوّر" أو "الشيء والفكرة"، أو بالعبارة الدارجة بين الكلمة والشيء. علمًا أنّ الكلمة شديدة الالتباس ومثقلة بالإرث اللاهوتيّ واللغة المكتوبة التي ركّزت عليها الفيلولوجيا[18] بخلاف اللسانيّات الحديثة التي انصرفت إلى اللغة المنطوقة، فكانت الكلمة موضوعًا للمقاربة الصرفيّة[19]، وهي من أقسام العلامات الخاصة[20].

الموضوع والشيء:

إذا قبلنا أن يكون الموضوع الطبيعيّ هو نفسه الشيء الطبيعيّ؛ فإنّ موضوعات العالم يمكن التعامل معها على أنّها "أشياء"، وبذلك تكون خصائص الموضوع هي نفسها خصائص الشيء، وعليه نستطيع أن نقول إنّ الأفكار التي تقدمها لنا العلامات عن العالم ستكون واضحة؛ لأنّنا نستطيع فحصها واختبارها والبرهنة عليها. وكنّا أشرنا إلى تقسيم العالم إلى "عالم طبيعيّ" و"عالم ذهنيّ"، و"عالم واقعيّ" و"عالم افتراضيّ"، و، ولكن يبقى النقاش قائمًا حول ما طرحه جون لوك بخصوص مفهوم الأفكار البسيطة والمركّبة التي كانت تمهيدًا لميلاد السيميائيّات الحديثة. وقد ربطها لوك بخصائص الأشياء المحسوسة مثل الصلابة والامتداد.

من المهمّ مراجعة الاعتقاد السائد بأنّ "الموضوع الطبيعيّ" ما هو إلّا "الشيء الطبيعيّ" أو أنّ العالم الطبيعيّ هو محصّلة مجموعة من الأشياء، ويكاد يكون هذا الاعتقاد عامًا؛ ولكن عندما ندرس الظواهر الطبيعيّة، فإنّنا نتعامل مع الوقائع (faits) التي تخضع لقوانين الفيزياء، وتبحث في خصائص الأشياء مثل الروائح والألوان، وإن كانت العلوم التجريبيّة غير معنيّة بالإيحاءات الأنطولوجيّة والميتافيزيقيّة بقدر ما هي معنيّة بوصف الوقائع. وبالعودة إلى خصائص الموضوعات مثل "اللون" تجعل متصوّر "الشيء" على درجة غير قليلة من التعقيد. فما كان من عالم الموضوعات الطبيعيّة من وجهة النظر العلميّة هو يقبل الوصف بخلاف المقاربة السيميائيّة التي يعنيها الإحساس والسيرورات العقليّة التي ترتسم في الذهن مثل اللون الأبيض الذي ينطبع في ذهن الطفل من خلال حليب الأمّ.

الموضوع في علم المنطق وفنه:

إنّ الموضوع في الفلسفة هو الجوهر (الهيوليّ والصورة) الذي وضعه أرسطو في قائمة المقولات؛ فالشيء يصبح جوهرًا عندما لا يكون محمولَ موضوع، وهو الثابت في الأشياء المتحوِّلة، وإن تعاورت عليه الصفات المتضادة مثل الألوان والروائح، فللصفات جواهر تحملها، ولكنّه قائم بذاته لا يحتاج إلّا أن يُحمَل على غيره. وعلى صعيد التصوّر فإنّ الجوهر قبليّ عند كانط، يترتّب على صورة الحكم المطلق كونه إسنادَ محمول إلى موضوع. ولا تعتدّ الفلسفة الظاهراتيّة إلّا بمعنى الموضوع، ولا تسلّم بتصوّره القبليّ.

يبقى السؤال مشروعًا إذا سلّمنا أنّ الجوهر يماثل الموضوع: فهل الموضوع مادّة أو صورة أو حاصل تركيب بين المادة والصورة؟ ولهذا السؤال علاقة بمسألة العلامة والعالم. ويكفي أن نستحضر التعديل المهمّ الذي قدّمه لويس يامسلاف (1899- 1965) Louis Hjemslev لتركيب العلامة التي كان قوامها الدال والمدلول، وأضاف لها يامسلاف ثنائيّة (المادة والشكل) ليميّز بين مادة التعبير وشكله ومادة المحتوى وشكله، ويستخلص متصوّر الوظيفة السيميائيّة التي تتألف من حاصل الجمع بين شكل التعبير وشكل المحتوى.

يمكن حصر الموضوع في الدراسات النحويّة في المبتدأ[21] والفاعل؛ إذ إنّ المبتدأ اسم صريح أو ما يكون في حكمه مثل المصدر المؤوّل، ويرفع بعلّة الابتداء عندما يتجرّد من العوامل اللفظيّة، ويُخبر عنه، فيكون المبتدأ أو المتحدّث عنه مسندًا إليه، والخبر أو الحديث مسندًا. وقد عرّفه سيبويه بأنّه ((كل اسم ابْتُدِئ ليُبنى عليه كلام، والمبتدأ والمبنيُّ عليه رفعٌ، فالابتداء لا يكون إلا بمبنيٍّ عليه، فالمبتدأ

الأول والمبني ما بعده عليه، فهو مسند ومسند إليه))[22]. لقد حظي الإسناد باعتناء النحاة والبلاغيّين، ويستعمله سيبويه بمعنى البناء والتفريغ والشغل، وقد أفرد له بابًا للمسند والمسند إليه في الكتاب ((وهو ما لا يَغنى واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلّم منه بدًا، فمن ذلك الاسم المبتدأُ والمبنيُّ عليه))[23]، وقاس على ذلك حاجة الفعل إلى الاسم (الفاعل).

إذا تعلّق الإسناد بالإخبار دون الإنشاء أفاد الحكم، و((كان المسند والمسند إليه من صفات المعاني، ويوصف بهما الألفاظ تبعا، وإذا أطلق على الضم كان الأمر بالعكس. واعتبارات الإسناد تجري في كلا معنييه على سواء، وأما اعتبارات المسند والمسند إليه فإنما جريانها على الألفاظ))[24]. وما قيل عن المبتدأ يقال على الفاعل كونه اسمًا أو ما في حكمه بالتأويل، ويسند إليه الفعل التام، ويتقدّم عليه الفعل في ترتيب الجملة العربيّة بخلاف لغات أخرى؛ لهذا اشترطوا أن يكون أصليّ المحل والصيغة لكون المحل هو ما يحلّ فيه العرض. ((ولا يقال موضوع الجوهر، بل يقال محل الجوهر))[25]، وعلّة رفعه عند سيبويه أنّه أُسنِد الفعل إليه.

وعليه فمن الضيم أن نحصر الإسناد في نحو الجملة، بل ينبغي أن يتّسع مجاله، ويكون له سهم وازن في سيميائيّات الخطاب، وبخاصة أنّ سيبويه نفسه يشهد للغة الأدب ومنها لغة الشعر بخصوصيّتها، وصفها بأنّها لغة ثانية، ولنا أن نقدِّر هذه الخصوصيّة بمبدأ النصيّة التي لهج بها روبير إيميل دو بغراند Robert-Alain de Beaugrande (2008 -1946) في مقابل مبدأ النحويّة الذي صدع به سيبويه وتشومسكي. وعلى نحو ما نحتكم فيه إلى مبدأ الماصدقيّة في عالم الخطاب من المنظور المنطقيّ، وهو كل ما نلفيه في النص بصرف النظر عن المحتوى المعرفيّ لهذا الخطاب سواء أكان نصًا تخييليًّا أم نصًا مرجعيًّا (تاريخيًّا أو فيزيائيًّا أو رياضياتيًّا...)، ونحن ندرك أنّ الجملة لمَّا يخفتْ بريق استعمالها في اللسانيّات والمنطق وحتى تحليل الخطاب.

ومن أقسام علم المعاني في البلاغة أحوال الإسناد الخبريّ وأحوال المسند إليه وأحوال المسند حسَب تصنيف القزوينيّ الخطيب[26]. ولمّا كان الكلام إمّا خبرًا، وإمّا إنشاء، فإنّ الخبر الذي هو موضع الحكم ((لا بد له من مسند ومسند إليه وإسناد، والمسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلا أو في معناه، وكل من الإسناد والتعلّق إمّا بقصر أو بغير قصر...))[27]. ثمّ فصّل كغيره من علماء البلاغة في هذه الأقسام التي تفضي بنا إلى علم المنطق، والقضيّة الحمليّة التي عمادها الموضوع والمحمول.

يعدّ الموضوع (Subject) في المنطق ركنًا من أركان القضيّة في المنطق الحمليّ، وتبدأ به القضيّة/الجملة، ولا يكون إلّا اسمًا، ويكون في موضع المحكوم عليه لكونه مُخبرًا عنه أو مُتحدّثًا عنه بلغة السيرافيّ إذا تحقّقت بينه وبين المحمول (Predicate) نسبة عبر الجهات المنطقيّة المتمثّلة في جهة الوجوب التي يكون فيها المحمول ضروريّ الثبوت، وفي جهة الامتناع التي يكون فيها ضروريّ السلب، وفي جهة الإمكان التي تكون فيها النسبة بين الموضوع والمحمول متكافئة. وإذا كانت الرابطة بين الموضوع والمحمول -وهي مستترة بحكم طبيعة اللغة العربيّة- موجبة أفادت الوصل، وإذا كانت سالبة أفادت الفصل.

ولكي تكون الجملة الخبريّة محلّ حكم وجب وجود الموضوع الذي عليه مدار الإخبار ظاهرًا أو مقدّمًا أو مؤخرًا أو محذوفًا. وهذه المفاهيم صارت من المصطلحات النحويّة الشائعة الذائعة. وتختلف الرابطة بين الموضوع والمحمول باختلاف طبيعة الجملة، والجدير بالتنبيه عليه أنّ مصطلح الجملة عاد للاستعمال في المنطق المعاصر، وتراجع بعض فلاسفة اللغة في استعمالها، فصار يزاحم مصطلح القضيّة. فإذا كانت الجملة خبريّة صارت الرابطة إسنادًا، وإذا كانت الجملة شرطيّة صارت الرابطة اشتراطًا وتعليلًا.

يُحكَم على العالم من حيث هو موضوع في القضايا الحمليّة[28] إمّا بالإيجاب ((هو الحكم بوجود محمول لموضوع))[29]، وإمّا بالسلب ((هو الحكم بلا وجود محمول لموضوع))[30]. وتجعلنا طبيعة الموضوع في القضيّة الحمليّة أمام ثلاثة أنواع من العالم: عالم الحقيقة وعالم العِيان وعالم الذهن. فإذا كان الموضوع متحقّقًا إيجابًا في العيان، ومطابقًا لما في الذهن تحوّل إلى عالم حقيقيّ، وإذا تحقّق في العيان، كان عالمًا عينيًّا قابلًا للإدراك، وإذا تحقّق في الذهن، صار عالمًا ذهنيًّا. وهكذا نكون أمام عوالم ثلاثة ممكنة بحسَب الموضوع في القضايا الحمليّة الذي يكون فيها الحكم على الموضوع بناء على ما ورد في المحمول.

الموضوع في منطق بور رويال وفن التفكير:

ينهض منطق بور رويال[31] Port Royal لمؤلفيه أنطوان أرنولد (1612- 1694) Antoine Arnauld وبيار نيكول (1625- 1695) Pierre Nicole على الأفكار في القسم الأوّل الذي فيه نقد لمقولات أرسطو (384 ق. م.- 322 ق. م.) Aristote العشر، وطرح لـ"مفهوم" و"الماصدق"، وعلى الأحكام في القسم الثاني الذي يدرس القضايا والاستدلال المباشر، وعلى الاستدلال في القسم الثالث الذي يتناول القياس والحجج والمغالطات، وعلى المنهج في القسم الرابع الذي يقدّم مسألة التركيب

والتحليل، ويقوم بعرض برهان باسكال على وجود الله. وهذا التقسيم لا يكاد يخرج عن الأرغانون الأرسطيّ ما عدا القسم الأخير الخاص بالمنهج الذي سارا فيه على منوال ديكارت، وخالفا فيه بعض مسائل أرسطو في المنطق. وقد تحكّمت في طرحهما المنطقيّ مسائل لاهوتيّة ما ينبغي أن يغفلها كلّ عاقل من أهل النظر.

تجاوز مؤلّفا منطق بور روايال الأسلوب المدرسيّ في تناول المنطق وتعليمه، وتحويله إلى فن من فنون التفكير[32] (Art de penser)، وجعله ممارسة عمليّة للتفكير السليم وتحصيل المعرفة تعلّمًا وتعليمًا. ويعد المنطق السيميائيّ لبور روايال إصلاحًا للمنطق الأرسطيّ، وامتدادًا للسيميائيّات الأوغسطينيّة، ومتماهيًّا مع العقلانيّة الديكارتيّة وفلسفة باسكال الروحيّة. والطريف في هذا المنطق السيميائيّ أنّه يتحرّك في أرض لاهوتيّة مسيحيّة، ويروم إصلاح الخطاب الدينيّ من خلال الحركة الجانسينيّة، ومراجعة المنطق الأرسطيّ الذي اتّخذه اللاهوت المسيحيّ عمادًا له في العصر الوسيط منطقًا ومنهجًا.

ولتحصيل المعرفة لا بد من انتهاج قواعد التفكير[33] مثل التصوّر (concevoir) والحكم (juger) والاستدلال (raisonner) والترتيب (ordonner). وكلّ ذلك يقوم على سلامة العقل. والذي يعنينا في هذا المقام قاعدة الحكم الذي يحصل فيها الربط بين فكرتين يفترض وجودهما بالفعل. وقد فتح منطق بور روايال السيميائيّ المجال أمام اللغة الطبيعيّة وتحديدًا موضوع النحو الكليّ لتحليل القضايا من دون الوقوع في النزعة الصوريّة. ((ولا يمكن تصور أثره النظريّ إلا إذا أتممناه بواسطة المنطق))[34]. وركّز هذا المنطق على المحتوى القضويّ الذي فيه تلازم بين فكرة المحمول التي تعبّر عن الموضوع[35]، ولم يغرق منطقهم في الصورنة المنطقيّة كما تقدّم؛ ولهذا فضلوا كلمة "الفن" على "العلم" طلبًا للتفكير السليم أو الحسّ السليم، وختموا كتابهم بقسم خاص بالمنهج تأثرًا بالعقلانيّة الديكارتيّة.

أشاد روبير بلانشي (1898- 1975) Robert Blanché بالقسم الثاني من منطق بور روايال لإحاطته بعلاقة النحو بالمنطق، و((الجمع الوثيق بين التحليل المنطقي والتحليل النحوي...إن معظم التحليلات التي يتضمنها هذا الجزء الثاني هي تحليلات للغة، ترمي لإظهار الأشكال المنطقية الأساسية، التي غالبا ما تختفي وراء أشكال العبارة المتنوعة؛ لأن التطابق ليس تاما بين اللغة والفكر))[36]. والمسألة لا تتعلق بتفضيل تحليل على تحليل آخر؛ لأنّ المبتغى ليس بشكليّ بقدر ما هو متعلق بفن التفكير والحسّ السليم؛ وهذا لا يحصل إلّا بحسن استخدام العقل وتوجيهه.

خصص منطق بور روايال الفصل السابع عشر من القسم الثاني المشتمل على التأملات التي يضفيها النّاس على أحكامهم. وفي أثناء مناقشة الكلمات بالنسبة إلى القضايا، تناول مسائل الأسماء والضمائر والأفعال، ولاحظ أنّ الألفاظ من حيث هي علامات ورموز تدلّ على الأشياء كما تدلّ على خصائصها وصفاتها وكيفياتها. وهذه الألفاظ هي أسماء، والأسماء ذوات وصفات. فأسماء الصفات وإن غلب عليها التجريد الذهنيّ مثل: العادل والجميل لا يمكن أن نتصوّرها ما لم ((نحملها على موضوع محدّد))[37]، وتتحوّل هذه الخصائص والصفات والكيفيات إلى أسماء ذوات مثل: العدل والجمال.

إنّ مسألة اللون كانت حاضرة في تفكير بور روايال المنطقيّ؛ إذ إنّ الأحمر والأبيض وسائر الألوان صفات حقيقيّة، وسيستمر النقاش حول هذا الموضوع في سيميائيّات جون لوك (1632-1704) John Locke وتشارلز سندرس بورس (1839-1914) Charles Sanders Peirce. فالأحمر أو غيره "هو كل شيء أحمر"[38] على سبيل التعميم لا على سبيل التخصيص. و((للصفات بالضرورة دلالتان: إحداهما متمايزة، وهي الصيغة أو الكيفيّة، وثانيها غير واضحة، وهي الموضوع؛ ولكن قد تكون دلالة الموضوع أكثر تمايزًا فهي ليست مباشرة، بيد أنّ دلالة الموضوع وإن كانت غير واضحة فهي مباشرة))[39]. ونلمس يقظة فكريّة في منطقهم بخصوص دلالة الموضوع؛ إذ ثمّة استدراك بأنّ اللون وإن دلّ مباشرة على الموضوع؛ فتبقى دلالته تفتقر إلى صفاء الوضوح. فاللون لا يدلّ دلالة مباشرة على أسماء الذوات مثل البياض والاحمرار...إلخ.

وعطفًا على ما تقدّم إنّ الحكم يعدّ ركنًا من أركان التفكير المنطقيّ السليم، وهو أساس "المنطق الأرسطيّ"، ومنطلق "النظر" في السيميائيّات الإسلاميّة؛ فإنّ وظيفة الفعل الذي هو من أقسام الكلام تتمثّل في الدلالة على إيجاب الحكم والإثبات[40]. ولكن الفعل ما لم يكن خبرًا يفتقر إلى الحكم، ويبقى في نظر هذا المنطق أنّ فعل الكينونة (être) يعدّ من الأفعال الدالة على الإسناد الحمليّ. وهذا يدلّ أيضًا على أهميّة أداة الربط الذي أسالت حبرًا كثيرًا حول كونيّة المنطق وخصوصيّته وارتباطه بطبيعة كلّ لغة من اللغات الطبيعيّة. وإذا صرفنا النظر قليلًا عن المحمول، ويمّمنا شطر الموضوع فإنّ هذا المنطق أضاف إلى الإيجاب في مواضع خاصة "موضوع القضيّة[41]"، ونسب المفكرون إلى دلالات الفعل من حيث كونه موضوعًا للحمل. ويعيدنا تفكيرهم المنطقيّ إلى المسائل الخلافيّة بين نحاة البصرة والكوفة وبخاصة الاسم والفعل والمصدر.

إنّ للموضوع كفاية تحديد ماصدق المحمول في القضايا الموجبة[42]. فثمّة تغيير في المنظومة الاصطلاحيّة ملحوظ. ففي موضوع القضيّة ظهر مصطلحان جديدان، إذ حلّت الفكرة (idée) محلّ المتصوّر (concept)، وفي الأفكار ميّزوا بين المفهوم/المتصور والماصدق، وأسسوا لفلسفة اللغة الطبيعيّة ومنطقها الذي ربطوه بالنحو الكلّي. والموضوع الشائك في هذا المنطق هو إعمال العقل في نصوص النقل.

تختلف منزلة الموضوع في القضايا المنطقيّة من حيث التركيب والتحليل، ففي القضيّة التحليليّة (Analytic Proposition) لا يضيف المحمول جديدًا إلى الموضوع لكونه إمّا مرادفًا له (المهنّد هو السيف)، وإمّا جزءًا منه (الرجل هو الذكر)، وإمّا تعريفًا له مثلما نحدّد الماصدق (الإنسان) بأنه حيوان ضاحك وناطق، وإمّا نتيجة له مثلما هو الشأن في العمليّات الحسابيّة $\sqrt{4} = \frac{4}{2}$ ؛ إذ كلّ قضايا الرياضيّات تحليليّة، وكذلك كلّ ما يدخل في باب التعريف الجامع المانع، وإذا تكرّر الموضوع (الحق هو الحق)؛ ولهذا لا يكتسي الموضوع أيّ إضافة. أمّا في القضيّة التركيبيّة (Synthetic Proposition) فإنّ المحمول بخلاف القضيّة التحليليّة يضيف إلى الموضوع خبرًا جديدًا، ويستند في ذلك إلى العالم الخارجيّ، وليس جزءًا من هذا العالم مثلما نلفيه في التركيب الجزيئيّ للعنصر الطبيعيّ للماء الآتيّ: **H2O** ؛ إذ يتألّف الماء من اتّحاد ذرتين من الهيدروجين مع ذرّة واحدة من الأوكسجين.

عندما يكون الموضوع مفردًا ولفظًا جزئيًّا مثل اسم العلم على نحو (وهران عاصمة الغرب الجزائريّ)، تسمى القضيّة شخصيّة (Singular Proposition) لا يحدّها كمّ ولا كيف، والحكم فيها بالإيجاب أو السلب يكون على فرد واحد؛ لأنّ الموضوع وحدة لا تقبل أيّ قسمة؛ ولهذا هي في حكم الكليّة. أمّا القضيّة المهملة (Indefinite Proposition) فالحكم فيها غير محدّد؛ لأنّ لا سور (quantifier) فيها، أو أنّها تؤول إلى الكلّ أو الجزء حسَب السياق. وأمّا إذا كان الموضوع اسمَ علم مفرد غير عاقل تكون القضيّة مفردة مثل (أحد من جبال الحجاز).

إنّ المعرفة والعلم عند ابن سينا (370 هـ - 427 هـ) والمناطقة ((إما تصور، وإما تصديق، والتصور هو العلم الأول ويكسب الحد وما يجري مجراه مثل تصورنا ماهية الإنسان والتصديق إنما يكتسب بالقياس أو ما يجري مجراه مثل تصديقنا بأن للكل مبدأ))[43]. وأنّ الموضوع ((هو الذي يحكم عليه بأن شيئا آخر موجود له أو ليس بموجود له. مثال الموضوع قولنا زيد من قولنا زيد كاتب))[44]. وهو المقول عنه في مقابل المحمول. وكما سنرى لاحقًا سيكون عنصرًا من العناصر الثلاثة المكوّنة من

العلامة عند بورس، ومتصوّرا بالغ الأهميّة في الخطاطة العامليّة في السيميائيّات السرديّة. وفي اللغة هو المادة التي يُنشئ بها ومنها المُتحدّث كلامه، والمؤلِّف كتّابته كما تقدّم في دلالته المعجميّة.

والذي نراه أنّ الموضوع من الوجهة الأنطولوجيّة والمنطقيّة لا يكاد يبرح العلامة والعالم. فإمّا يكون موضوعًا للعلامة، وإمّا يكون موضوعًا للعالم، وإمّا يكون موضوعًا مشتركًا لهما، واستنادًا إليه فإنّ الموضوع إمّا يكون مستقرًّا في الذهن، ولا يكون له أيّ ارتباط بالعالم الخارجيّ، فيصير جوهرًا، ويطلق عليه بالحمل الأوّليّ، فيتّحد الموضوع بالمحمول من وجهة "المفهوم"، فيكون المحمول ذاتيًّا للموضوع في باب الكليّ لا البرهان، ويصبح المحمول حدًّا تامًّا أو ناقصًا للموضوع، وإمّا تكون كينونته متحقّقة في العالم الخارجيّ، ويعدّ من أفراد المحمول ومصاديقه، ويطلق عليه بالحمل الصناعيّ، فيتّحد الموضوع بالمحمول من وجهة "الماصدق". وهذا النوع من العالم هو الذي يكون موضوعًا للعلوم؛ لأنّه من قبيل الحمل الشائع المتعارف عليه في العلوم والمعارف.

وما سبق من أسئلة ما هو إلّا تنويع وتطوير لما طرحه فورفريوس الصوريّ ((لن أبحث عما إذا كان للأجناس والأنواع وجود في الأعيان أم أنّ وجودها ليس إلّا مجرد تصورات في الأذهان؟ وإنْ كانت موجودة في الأعيان أهي جسمية أو لا جسمية؟ وأخيرًا أهي مفارقة أم لا وجود لها إلّا في المحسوسات ومنها تتركبُ؟))[45]. ولم يخف فورفيوس صعوبة هذه الأسئلة، وسار على منواله الشيخ الحكيم ابن سينا في المدخل؛ بيد أنّ المنطق السيميائيّ أحدث إبدالًا في النظرة إلى العلاقة بين العلامة والعالم، ومنها ما طرحته سيميائيّات بورس؛ لأنّ المنطق عند بورس هو علم الواقع.

الموضوع: العلامة والعالم

عود على بدء؛ فإنّ متصوّر "الموضوع" في سيميائيّات بورس[46] لا يكاد يخلو من غموض هو الآخر، ولا تكاد تصفو مشارب تصوّره من تشويش واشتباه والتباس؛ ونحن نفكّر في علاقته بـ"الشيء" الواقعيّ من دون التخييليّ؛ ذلك أنّ من مقاصد موضوع العلامة "المعرفة التي تقتضيها العلامة، وبها تضيف جديدًا إلى هذا الموضوع"[47]؛ لأنّ العلامة عنده ليست "إحلال شيء محل شيء آخر"؛ ويتجلى ذلك في مصطلح "الموضوع الديناميّ" الذي يمثّل موضوع العالم. فثمّة عالمان: عالم طبيعيّ (فيزيائيّ) محسوس، وعالم ذهنيّ مجرّد قابل للفهم. والمعهود من العالم الطبيعيّ أنّه "شيء" موجود، و"موضوع" واقعيّ مُدرَك؛ ومن ثمّ فهو يتوافر على القابليّة للفهم والإدراك والمعرفة إمّا بأعراضه وَفق النزعة الذريّة؛ وإمّا بكليّته وَفق النزعة البُنويّة والغشطالتيّة.

والذي يدعو إلى الحيرة المنهجيّة هو السؤال الآتيّ: أيمكننا تصنيف ظواهر العالم الطبيعيّ على أنّها موضوعات؟ وبعبارة أخرى أمن المقبول أن نعدّ الأجسام الحيّة في العالم الطبيعيّ موضوعات؟ ولكي ترقى الظاهرة الطبيعيّة إلى رتبة "الموضوع" ينبغي لها أن تتّسم بالدقة والوضوح، وهما شرطان من شروط العلم على الأقل في منهجيّة ديكارت، وكذلك يكون قابلًا للتقطيع. وإذا كان الموضوع ماثلًا في الذهن، فإنّه ينتفي عنه سوء الفهم لكونه محفوظًا في النفس، وهي راعية له.

تُفضي بنا هذه الأسئلة إلى قضايا شائكة تطرحها السيميائيّات المعرفيّة التي ارتكزت على علم النفس المعرفيّ والرياضيّات والمنطق والحاسوبيّات وقضاياه المتعلّقة بالذكاء واللغة والإدراك والذاكرة والقصد...إلخ، وكذلك اللسانيّات المعرفيّة التي بدأت إرهاصاتها مع تشومسكي، وتطوّرت مع جورج لاكوف (...-1941) George Lakoff وراي جاكندوف (...-1945) Ray Jackendoff وجيمس دفيد ماك كاولي (1999-1938) James David McCawley ورونالد لاغاكير (1942- ...) Ronald Langacker وليونارد تالمي (...-1937) Leonard Talmy ونيكولا إفانس (...-1965) Nicholas Evans وغيرهم، فانكبّت على معرفة الحدود -إن وُجدت- بين العالم الطبيعيّ والعالم الذهنيّ، وكيف نعرّف المعنى؟ أهو متضمّن في عباراتنا أو هو متضمّن في بنية أفكارنا؟ وما علاقته بما هو محفوظ في أذهاننا؟

تُعيدنا هذه الأسئلة إلى متصّور العلامة في السيميائيّات الحديثة (الدال والمدلول) عند دو سوسير، و(التعبير والمحتوى) عند يامسلاف، و(الممثل والموضوع) عند بورس، وإلى مربع الملموس والمجرّد أو إلى الموضوعاتيّ والتصويريّ في سيميائيّات ألجيرداس جوليان ݣريماص (1992-1917) Algirdas Julien Greimas التي دشّنه في "الدلاليّات البنُويّة" وتحديدًا دراسة موضوع الإدراك وظاهراتيّته عند موريس ميرلو بونتي (1961-1908) Maurice Merleau-Ponty، والسيميائيّات اللسانيّة (sémio-linguistique) التي طوّرتها أبحاث فرانسوا راستي (1945- ...) François Rastier وجون كلود كوكي (...-1928) Jean-Claude Coquet وجاك فونتاني (...-1948) Jacques Fontanille. وأنّى لنا أن نسلّم بواقعيّة الموضوعات المجرّدة أو عموميّتها؟ ووحدها سيميائيّات بورس أخذت على عاتقها دراسة جبر العلامات من وجهة ظاهراتيّة منطقيّة، فجعلت "صور الفانيروسكوبيا" الذهنيّة الخالصة موضوعًا لها، ويمكن الإشادة أيضًا بسيميائيّات يامسلاف النسقيّة التي انطلقت من إبستيمولوجيا اتّسمت بالصفاء المعرفيّ والبناء المرصوص.

لا نريد أن نخرط في شعاب عوالم الأفضيّة الذهنيّة والاستعارات التصوّريّة التي طرحتها السيميائيّات المعرفيّة، وهي تحتاج إلى مبحث خاص ليس هذا مقامه، ولا نيّة لنا أن نتورّط في سجال النزعتين الاسميّة والواقعيّة بخصوص مسألة "الكليّات"[48] (الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام)؛ لأنّنا خضنا في بعض أمورها في غير هذا المقام، والاحتراز الذي نتوخاه أن لا يكون قولنا مكرورًا، ولا سيّما في السيميائيّات الدينيّة (المسيحيّة والإسلاميّة) في العصر الوسيط، وتصبّ كلّها فيما هو عموميّ وما هو فرديّ، وعلاقة اللغة بالواقع أو علاقة العلامة بالعالم التي هي الإطار العام لموضوع هذه الدراسة. ولعلّ هذا ما أثار ذلك السجال الذي لم تنه فصوله في مسألة "واقعيّة الموضوع المجرّد" وفكرة الله والبرهان على وجوده، ونذكر في هذا المقام علماء الكلام المسلمين وديكارت وجماعة بور رويال ولايبنتز على سبيل المثال لا الحصر.

وعلى نحو ما تقدّم إنّ الموضوع عُدَّ ركنًا من أركان العلم. فلا علم بلا موضوع ولا منهج. ومن البديهيّ أن يكون للموضوع محتوى قابلٌ للوصف والتحليل، وله علاقة باختصاص العلم؛ لأنّه ذُكرت -في هذا السياق- بعض الموضوعات التي لا محتوى لها، ومن الأمثلة الشهيرة التي تُقدِّم في العادة شواهدَ على ذلك: "الدائرة المربعة"، أو الحيوان الخرافيّ[49] (licorne) أو الوحش الخياليّ[50] (chimère)، ونضيف إليها ما ذُكر في القرآن مثل "عرش الله"، و"كرسي الله" و"اللوح المحفوظ" والدابة والجنّة والنار و"القلم" المذكور في القرآن الذي قال عنه ابن سيده لا أعرف كيفيّته. والسؤال المطروح أيمكن أن يكون هناك وجود لهذه الموضوعات التي تبدو فارغة من المحتوى من المنظور الوضعانيّ؛ لأنّها قضايا ميتافيزيقيّة. وإذا سلّمنا بوجاهة هذه العبارة على أنّها "أشياء" أهي قابلة للمعرفة؟ بمعنى آخر أبإمكانها أن تكتسب مشروعيّة "الموضوع"؟

نستنتج ممّا سلف أنّ الإشكال كامن في الموضوعات المجرّدة لا الموضوعات المحسوسة. وهذا الإشكال ليس بجديد؛ إذ كانت الأفلاطونيّة مجالًا رحبًا له، بل إنّ موضوعات الرياضيّات مثالٌ واضحٌ على الوجود المجرّد لهذه الكائنات التي تنشد اللامتناهيّ (infini). ولا غرو أن يصبح: المحتمل" و"الافتراضيّ" موضوعًا للعلم والمعرفة. وإذا سلّمنا جدلًا بأنّ الموضوع الطبيعيّ (الفيزيائيّ) أقلّ إشكالًا من الموضوع المجرّد أيمكننا القول إنّ الموضوع الطبيعيّ لا غموض فيه؟ هذا ما لا يُسلِّم به باري سترود[51] (2019-1935) Barry Stroud، ويرى أنّ المسألة دونها عقبات ليست باليسيرة.

الموضوع في سيميائيّات ش. س. بورس:

سبق لبورس أنّ تناول في مقالته "إنّه أحمر" (It is red) [1.538] هذا الموضوع. والسؤال المطروح أيعدّ الأحمر من بنات "الأفكار المركّبة" حسب لوك؟ أو هو شيء ما لظاهرة فيزيائيّة خالصة تنتمي إلى العالم الطبيعيّ؟ والردّ عند بورس يمكن أن يكون بالإيجاب؛ ولكن الأمر لا يعني أنّنا ننسبه إلى الرؤية، ونربط وجوده بها، أو أنّه واقعة ذهنيّة ليس لها علاقة بموضوع العالم الفيزيائيّ كونه شيئًا طبيعيًّا. ومن دون أن ننكر أنّ هذه المادة ترتبط بإحساسنا باللون الأحمر[52]، واستثمر بورس في تحليله المنطقيّ للحدس أطروحة جون دونيس سكوت (1266-1308) John Duns Scotus؛ إذ لم يمنح صكًّا أبيض للعلم في تحديد هذا الموضوع تحديدًا دقيقًا وواضحًا؛ لأنّها "واقعة فيزيائيّة" (physical fact).

علمًا أنّ الإحساس (feeling) عند بورس هو كلّ ما هو معروف مباشرة من قبل أحاسيسنا؛ ولهذا لا يعني ما تدلّ عليه الكلمات الشهيرة في اللغة الفرنسيّة (sensation) أو (sentiment)، وهذا الإحساس يختلف باختلاف الموضوع. والحق أنّه من الصعوبة بمكان أن تُترجَم مصطلحات بورس بسهولة لأيّ أي لغة أخرى، بل هي معتاصة حتى على أهلها؛ لأنّ الأمر يتعلّق بالتوليد الاصطلاحيّ وباختلاف البيئة الاصطلاحيّة. ومن ذلك هناك من أراد أن يضع مقابلًا لمصطلحات متصوّر العلامة الثلاثيّ عند بورس الممثل (Representamen)، والموضوع (Object)، والمُؤوَّل (Interpretant)، بما يلائم بيئة القارئ الفرنسيّ الاصطلاحيّة، ويقابل الممثل بالدال والموضوع بالمرجع والمؤوّل بالمدلول.

ومن الصعوبة بمكان تجاوز معضلة المصطلح، وما يسبّبه من إشكال في أثناء هجرته من بيئة لغويّة وثقافيّة إلى بيئات أخرى مختلفة. ومن ذلك متصوَّر العلامة[53] (sign) في ذاته عند بورس الذي يميّز بين "العلامة-الفعل" و"العلامة-الممثل" كما أشار إلى ذلك جيرار دولودال[54] (1921-2003) Gérard Deledalle، ولا سيما أن العلامة-المؤوّل التي تقول العلامة-الموضوع هي موضوع العلامة-الممثل لهذه السيرورة التي يسمّيها بورس بالدلالات المفتوحة[55] (semiosis)، ولا يمكن مطابقتها بمتصوّر العلامة عند دو سوسير؛ لأنّ العلامة اللسانيّة ما هي إلّا علامات قانونيّة (légisignes) في المصطلحيّة البورسيّة، وبإمكانها أن تكون رمزيّة ومؤشريّة أو إيقونيّة[56].

ليس من المعقول منطقيًّا أن نضع حدودًا فاصلة بين العالم الذهنيّ (الظواهر الداخليّة) والعالم الواقعيّ (الظواهر الخارجيّة)؛ لأنّ عوالم بورس يحكمها الإحساس والفكر والقانون؛ إذ لم يُخف سيره

على خطى كانط في إيمانه الشديد بتشييد ميتافيزيقا قائمة على أسس علميّة، وهو ما يمكن تسميته وَفق أمبرتو إيكو بالميتافيزيقا السيميائيّة الشاملة التي تنظر إلى مقولة المتّصل (continu) على أنّها كليّة واقعيّة[57] في مقابل المنفصل (discret). وإن كانت هذه المقولة ذات صلة بالرياضيّات فهي مرتبطة بعالم المعرفة الإنسانيّة من حيث إنّها محتوى ذهنيّ.

ومن المعلوم في هذه السيميائيّات أنّ الموضوع أحد أركان العلامة التي تفرّعت منها علامات حسَب علاقته بمراتب الوجود الثلاث. إنّ علامة الأيقونة حاصل علاقة الموضوع بالأوّلانيّة، وعلامة المؤشر حاصل علاقة الموضوع بالثانيانيّة وعلامة الرمز حاصل علاقة الموضوع بالثالثانيّة؛ ولكن ما المقصود بالموضوع؟ أيعني العالم الخارجيّ الذي يُخرج العلامة من عالم الإمكان (الأولانيّة) إلى عالم التجسيد والتصوير (الثانيّانية)؟ وما علاقة الموضوع بالدلالات المفتوحة التي هي قوام العلامة في سيميائيّات بورس؟

إنّ الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها تبدو ليست باليُسر الذي نتوقّعه، وتُظهر بما لا يدعو إلى الريب أنّ السبيل إلى طبيعة الموضوع غير سالك، على الرغم من أنّ العلامات المتفرّعة من الموضوع أقل تعقيدًا في سيميائيّات من العلامات المتفرّعة من الممثل (العلامة النوعيّة والعلامة الفرديّة والعلامة القانونيّة) والمؤوَّل (الخبر والتصديق والحجّة). إنّ قانون الموجودات هو قانون الثاني الذي ليس بالضرورة أن يكون في طوع الثالث. فهو يمثّل عالم الإمكان والتجربة.

إذا كان الموضوع خارج الوظيفة السيميائيّة فأنّى للدارس أن يتقفى آثاره في العالم الطبيعيّ بالبحث والتقصّي؟ وأنّى لسيميائيّات العالم الطبيعيّ لـﮔريماص أن تحيط بالمعنى خبرا، وتجد حلًّا سحريًّا لمعضلة المرجع؟ لا يقدم لنا "الموضوع" البورسيّ العالم الماديّ بمعزل عن العلامة. وهنا نكون أمام تلازم وتضايف بين العلامة والعالم في سيميائيّات بورس. وهذا العالم ليس نمطيًّا، ولا ثابتًا، وإنّما هو عالم مفتوح دلاليًّا، وذلك أنّ العلامة لا تغدو علامة إلّا بموضوعها؛ إذ الحمرة لا تغدو علامة إلّا إذا دلّت على موضوع أحمر، وهذا الموضوع الأحمر لا يرتقي إلى رتبة العلامة ما لم يصبح مُؤوَّلًا.

من عالم الأحاسيس إلى عالم الوقائع:

قد ينتفي غموض "الموضوع" في سيميائيّات بورس إذا استحضرنا المرحلة الواقعيّة التي آوت إليها فلسفة بورس النفعيّة (pragmatism) في نهاية المطاف، فصار الموضوع يمثّل ما هو "واقعيّ"، وهو يمثّل مرتبة الوجود الفعليّ. وهذه الأطروحة ستقوده إلى فكرة "الدلالات المفتوحة"، وتؤكّد ما قدّرناه

سالفًا من يُسر العلامات المتفرّعة عن الموضوع في صنافة بورس السيميائيّة؛ لأنّها انصرفت إلى تمثيل الموضوعات الواقعيّة كما تخبرنا بها العلامات لا الموضوعات بوصفها أشياء العالم الخارجيّ. وهذه النزعة الواقعيّة التي يموج في عالمها "الموضوع" ليست بالجديدة، فهي من القُدْمة بمكان، إذ تعود جذورها إلى أرسطو ودونيس سكوت، وأضحى لها منزلة في التفكير العلميّ الحديث. ومن الشواهد على ذلك نظريّة الكوارث لروني فريدريك طوم (1958-...) René Frédéric Thom، وإدراجها في الدرس السيميائيّ من قِبَل جون بتيطو (1944-...) Jean Petito.

والملاحظ أنّ الموضوع في سيميائيّات بورس يمكن أن يكون علامة في ذاته شأنه في ذلك شأن "الممثل" أو "المُؤوَّل"، ولكي تكتمل أركان العلامة عند بورس لا بد أن يدخل "الممثل" في علاقة مع "الموضوع" ومع "المُؤوَّل"، كما أنّ المُمثل لا تحقق وظيفته السيميائيّة خارج علاقته بالموضوع، إذ الإحساس بالحمرة لا يتجسد إلّا في موضوع الوردة أو غيرها من الموضوعات الأخرى، وبالمثل ما قيل عن الممثل يقال عن الموضوع الذي يرتبط بالمُؤوَّل حتى تكتمل أركان العلامة عند بورس بمراتب الكينونة الثلاث (الأوّل والثاني والثالث) وحسَب البرتوكول الرياضيّ، ولكن موضوع بورس لا علاقة له بفكرة مطابقته للشيء الحقيقيّ[58]، لأنّ المعرفة الإنسانيّة للحقيقة تظلّ محدودة ومرتبطة بفكرة التناظر والأعراف والتجاور والقوانين المُتواضَع عليها. ومهما بلغ التفكير البشريّ من الدقّة فسيبقى في حدود جوار الحقيقة لا في بيت الحقيقة ذاتها، وهي من الحكمة البالغة في حياة البشر.

ولنتأمّل براعة القاضي النعمان بن محمد التميميّ (290 هـ - 363 هـ) في وصف اختراع قلم المداد[59] من حيث هو ممثَّل (أي: عبارة عن مجموعة من الأصوات المتناسقة، الدال بمصطلح دو سوسير)، إذ قدّم في مجلس المُعزّ لدين الله الفاطميّ أيّام حكم الدولة الفاطميّة وصفًا بارعًا ودقيقًا لقلم المداد المُختَرَع، فإنّ علامات الوصف لا تجعلنا نمسك بقلم المداد الذي كان بين يديه، وأمام أنظار ممن كانوا في المجلس، لنختبر أنّه اختراع لم يسبق إليه، ولنتأكّد من خصائصه العجيبة؛ لأنّ الأصوات التي يتألّف منها القلم لا تعيّن لنا شيئًا سوى أنّها تحلّ محلّ مُتصوّر القلم الذي كان يصفه القاضي النعمان، وأمام أنظار من كان يستمعون إليه، وعيونهم شاخصة تنظر إلى القلم العجيب. وإذا نحن بقينا بين ممثل "القلم" وموضوعه، فلا ندرك الحكمة من الوصف إلّا إذا صرنا إلى المُؤوَّل لنفقه دلالة موضوع التصوّر، واستدعينا الأقلام المستعمَلة قبل هذا الاختراع. وهكذا لا يكون الموضوع السيميائيّ بديلًا للشيء في العالم الحقيقيّ؛ فهو ما كان دلالة مفتوحة وفقَ اشتغال العلامة عبر المؤوَّل من حيث إنّه

وسيط بين الممثل والموضوع. ولا تكون العلامة علامة عند بورس إلّا إذا ارتبطت المكونات الثلاثة بعضها ببعض، واتّحدت، وتفاعلت.

فإذا مثّلنا لذلك بعلاقة الحمرة بالوردة، ثمّ بدلالتها على الاحترام والحبّ. فمن المعلوم أنّ الحمرة علامة (ممثل) مستقلة بذاتها من حيث الوجود، ولكنه وجودٌ في عالم الإمكان، ولا تخرج إلى عالم التجربة ما لم ترتبط بالموضوع، فيصبح لعلامة الوردة الحمراء وجود متحقّق في عالم التجربة والإحساس، ولكن لمّا تكتملْ؛ لتستويَ علامة؛ لأنّها بحاجة إلى المؤوَّل من حيث هو علاقة وسطيّة بين الممثل والموضوع، وهو ما يجعل منها قيمة مُضافة وجديدة وغير محدودة نظرًا لارتباطها بالاستعمال (السيميائيّات التداوليّة)، والحكمة عند لودفيغ فيتغنشتاين (1889- 1951) Ludwig Wittgenstein في الاستعمال لا في المعنى.

يمثِّل الموضوع في سيميائيّات بورس عالم الأحداث والوقائع والأفعال والأشياء. إنّه عالم الكينونة الذي يستدعي من المنظور الهيدغريّ مقولة الزمانيّة ينضاف إليها عنصر المكان، وهذا يتناغم مع مرجعيّة بورس الكانطيّة. إذا كانت مقولة "الثاني" تعني عنده ((الشيء الميت الخارجيّ))[60]، فهي تنقل العلامة إلى عالم التجارب والوقائع. وعليه فإنّ مدار العلامة على تمثيل الموضوع الذي يكتسي أهميّة كبيرة من أجل عمليّة التبليغ والإعلام. وهذه الخصيصة تُكسِبه القابليّة للإدراك في عالم الواقع أو عالم التخييل. وقد سبق أن نفينا أن يكون الموضوع بالضرورة مطابقًا للشيء على سبيل الحقيقة، مما جعل بورس يصفه بالشيء الميت الخارجيّ.

وبالعودة إلى صنافة العلامات المتفرِّعة عن الموضوع -كما تقدّم- فإنّ الأيقونة من حيث هي علاقة بين الموضوع والممثل قائمة على فكرة المشابهة؛ إذ يحيل هذا الصنف من العلامات على عالم الموضوع بموجب ما يمتلكه هذا الموضوع من خصائص سواء أكان متحقِّقًا في الوجود أم غير متحقّق[61]. ومن خصائص العلامات الأيقونيّة أنّها علامات لا تفقد قدرتها على الدلالة في حالة غياب موضوعها، فهي أشبه ما تكون بالممثل الذي يكتفي وجوده بذاته. وعندما يتطابق الممثل مع الموضوع تصبح موضوعات العالم استعارات أيقونيّة.

إنّنا ندرك العالم الذي يحيط بنا عن طريق الصور. ولقد لاحظنا أنّ العلامة عندما ترتبط بموضوع العالم عن طريق التشابه تصير أيقونات من منظور بورس، واستعارات من منظور البلاغة؛ وعندما يتحكّم التناظر بين عناصر علامة الموضوع وعناصر علامة الممثّل تتحوّل إلى رسومات بيانات بيانيّة

تستخدمها العلوم في الرياضيّات والإحصاء والفيزياء...إلخ. وحظيت الاستعارة التصوّريّة بمنزلة رفيعة في العلوم المعرفيّة ومنها اللسانيّات التي دشّنها نعوم تشومسكي (1928-...) Noam Chomsky، وطوّرها جورج لايكوف ومارك جونسون (1949-...) Mark L. Johnson، وجعلاها ذلك العالم الذي نحيا فيه. وهي ظاهرة ذهنيّة لها ارتباط بالتجربة الإنسانيّة والعالم المعيش وللجسم دور حاسم في إدراك المعنى.

من المعلوم أنّ السيميائيّين ليسوا على حد سواء في فكرة التشابه التي تنهض عليها الاستعارات من حيث إنّها أيقونات تقوم على فكرة "التناظر" بين الممثل والموضوع، وهي في جوهرها تجاوز في فكرة النقل والإبدال التي ورثاها عن التعريف العام الذي قدّمه أرسطو، وفحواها ((اللجوء إلى اسم من نوع آخر، أو هي نقل اسم يدلّ على شيء مّا إلى شيء آخر، ويتم النقل إمّا من جنس إلى نوع، أو من نوع إلى جنس، أو من نوع أو باعتماد المماثلة))[62]، وتمتد إلى ما هو مجرّد سواء أتمثّل في المجاز المرسل المعمّم الذي يعبّر عنه السور المنطقيّ من Σ.

وفي الظاهر تبدو فكرة التناظر ماثلة بين عالم مجرّد وعالم مجسّد، وهي تختلف من لغة إلى لغة في الإستراتيجيّة التي تستخدمها هذه اللغات لتقول ((أكثر من أنّ شيئا مّا هو شيء مّا. بينما تقول إن ذلك الشيء (اللغوي) هو في الوقت نفسه شيء آخر))[63]. وهذا التصوّر يُضعِف فكرة التناظر أو فكرة التطابق، ويربك بناء المعنى وسيرورة فهم العالم الذي تنتجه الاستعارة، وتتيح للبشر أن يحيوا فيه.

يصنّف بورس الموضوع كما أسلفنا القول إلى صنفين موضوع "مباشر" وموضوع غير مباشر، فالموضوع المباشر يقع داخل العلامة، في حين يقع الموضوع غير المباشر خارج العلامة، وهو في اصطلاح بورس "الموضوع الديناميّ" الذي تشير إليه العلامة إشارة غير مباشرة، وهو ما يكون في حكم الإمكان، ولا يكون مجسدًا، وإذا كان كذلك صارت العلامة ملموسة والموضوع الديناميّ شيئًا موجودًا، وعليه فإنّ العلامات تحدّد بجهات الموضوع من حيث الضرورة والإمكان؛ إذ تكون العلامة جماعيّة إذا كان الموضوع غير المباشر ضروريًّا، وأمّا إذا كان الموضوع المباشر ممكنًا، فإنّ العلامة تكون وصفيّة. وإذا كان الموضوع المباشر "ورودًا" كانت العلامة تعينيّة، وإذا كان الموضوع المباشر "ضروريًّا" كانت العلامة رابطيّة[64] (copulant).

إذا أردنا أن نفهم جملة "الشمس زرقاء" التي يسوقها بورس شاهدًا على وجود موضوعين "الشمس" و"الزرقاء" أو "وردة الصقيع" لصلاح عبد الصبور (1931-1981)، فإنّ على المتكلّم

والمُستقبِل أن يتوافرا على موسوعة مشتركة بينهما تمثّل سننًا معرفيًّا يسمح لهما بفهم موضوع الشمس أو الوردة سواء أكان ذلك من الناحية الفلكيّة أم من الناحية الطبيعيّة أم من الناحية الدينيّة أم من الناحيّة الأسطوريّة أم من الناحيّة الأدبيّة، فكل هذه المعطيات تشكّل حاصل التجربة الإنسانيّة في فهم الشمس والوردة وغيرها من موضوعات العالم، وتؤلّف الموضوع الديناميّ للشمس وللوردة في هذه الجملة أو المركّب الاسميّ. أمّا فيما يتعلّق بالزرقة أو الصقيع فهي معرفة مباشرة تنضاف إلى موسوعتنا المعرفيّة السابقة سواء أكانت هذه المعرفة حقيقيّة أم خياليّة مثل زرقة الشمس أو وردة الصقيع، وهي ما يسميه بورس بالموضوع المباشر، أمّا المعلومات الجديدة الضمنيّة فتُسمّى بالموضوع الديناميّ.

والذي يُصطفى من هذا التمييز بين الموضوع المباشر والموضوع الديناميّ يتجاوز فكرة التطابق بين العلامة والعالم، بل إنّ العالم يتخطّى العلامة؛ لأنّها لا تمتلك الكفاية الذاتيّة التي تمكنها من تمثيل العالم الخارجيّ تمثيلًا شاملًا، وكلّ ما في إمكانها هو التمثيل الجزئيّ للعالم الذي يتحكّم في المقام الخاص كما هو الحال في "الشمس زرقاء" أو "وردة الصقيع". والجامع بين الموضوع المباشر والموضوع الديناميّ هي الدلالات المفتوحة التي مدارها في سيميائيّات بورس على المؤوِّل. ولكن ما يمتاز به الموضوع الديناميّ أنّه يجعل الموضوع مستقلًّا عن العلامة[65]، ويفتح أبواب الدلالات المؤصدة أمام التأويل، وفي هذا السياق ينبغي التعويل على الخطاب في علاقته بالعالم أكثر من العلامة.

الموضوع في الأنموذج العامليّ:

الناظر في السيميائيّات البُنويّة التي صاغت الأنموذج العامليّ بوصفه عُدّة (dispositif) تروم تحليل الفعل يدرك أنّ مدار الأمر فيه على علاقة الصلة[66] (jonction) بين الذات والموضوع في إطار محور الإرادة (الرغبة) كما تجلى على صعيد البنية السطحيّة للسرد؛ إذ هما من ركائز الخطاطة العامليّة في الوصف والتحليل. وبعد التعديل الذي أجراه گريماص على ما سبق من نماذج رامت تقعيد السرد، ومن أهمّها الأنموذج الوظيفيّ لفلاديمير بروب (1970-1895) Vladimir Propp وأنموذج إتيان سوريو (1979-1892) Étienne Souriau في الدراما والمسرح وأنموذج لوسيان تنيير (1954-1893) Lucien Tesnière في التركيب البنويّ، ومن دون أن نُغفل النقد الذي وجهه كل من كلود ليفي ستراوس (2009-1908) Claude Lévi Strauss وكلود بريمون (1929-2021) Claude Bremond إلى مورفولوجيا الحكاية العجيبة- قدّم بديلًا وليس إبدالًا كان بمثابة المسار التوليديّ للدلالة، وشمل النشاط الإنسانيّ جميعًا، وطفقت طلائعه الأولى تلوح في "الدلاليّات

البُنويّة"[67] لتستوي أنموذجًا عامليًّا يتألّف من ستة عوامل (المرسل/المرسل إليه، الذات/الموضوع، والمساعد/المُعوِّق)، وتنبثق منه العلاقات بعد أن يعطي العامل/المرسل إشارة الانطلاق لإنجاز الفعل بدافع جهة الوجوب ضمن الخطاطة السرديّة المعياريّة (التحريك والكفاية والإنجاز والجزاء).

طرح ڨريماص سؤالين بخصوص النماذج العامليّة ومستويات وصفها. ((ما العلاقات العكسيّة وصيغ الوجود المشترك بين عوامل العالم المصغّر؟ وما معنى النشاط، تعميمًا، الذي ننسبه إلى العوامل؟))[68]. وللإجابة عن هذين السؤالين تعقّب متصوّر العامل في اللسانيّات والحكاية الشعبيّة الروسيّة وفي المسرح؛ ليرسو على مقولة الذات والموضوع، وهو بيت القصيد في هذه الدراسة. لقد أظهر إعجابًا وإشادة بإنجاز لوسيان تنيير اللافت الذي جعل من تركيب الجملة وتحليلها حسَب الخطاطة التشجيريّة (schéma stemmatique) "دراما صغرى[69]"، ويعدّ الفعل عقدتها، وكان لكتابه "مبادئ التركيب البُنويّ" تأثير مشهود في تجديد الدرس النحويّ وتعليمه في فرنسا وخارجها.

لقد اصطفى منه ڨريماص فرضيّة الأنموذج العامليّ ليغدو ((أحد المبادئ الممكنة لتنظيم العالم الدلاليّ))[70]. وسنلفي استبدال العلامة بالمجموعة الدالة (ensemble signifiant) لتنتظم في عوالم ((الدلالة وتقطيعاتها الممكنة إلى مقولات عامليّة))[71]. وبعد الوقوف على جرد بروب للعوامل السبعة (دوائر الفعل) في الحكاية العجيبة والعوامل الستة في المسرح من قبل وسوريو الذي رجّح أنه اطّلع على مورفولوجيا الحكاية الروسيّة، وقف ڨريماص على العاملين التركيبيين اللذين يؤلفان مقولة "الذات" vs "الموضوع"، ويندرجان في محور الرغبة، ووضّح هذه المقولة في الجدول الآتيّ[72]:

التركيب	الذات		الموضوع
بروب	البطل	vs	الشخص المطلوب
سوريو	القوة الموضوعاتيّة الموجهة	vs	ممثل الخير المرجو، القيمة الوجهة

الشكل 1

والذي يعلمه أهل الصناعة أنّ قوام هذا الأنموذج ستة عوامل رتّبها شيخ مدرسة باريس في أزواج ثلاثة هي على النحو الآتيّ: ("المرسل/المرسل إليه"، و"الذات/الموضوع"، و"المساعد/المُعوِّق")، وكلّ زوج منها ينضوي في محور دلاليّ يحدد العلاقة بين حدّيهما. وهي على الترتيب: (التواصل والرغبة والصراع)، وصاغ لهذا الأنموذج العامليّ رسمًا انتقدته بعد ذلك آن إيبرسفيلد، وعدّلته على وَفق الشكل الآتيّ[73]:

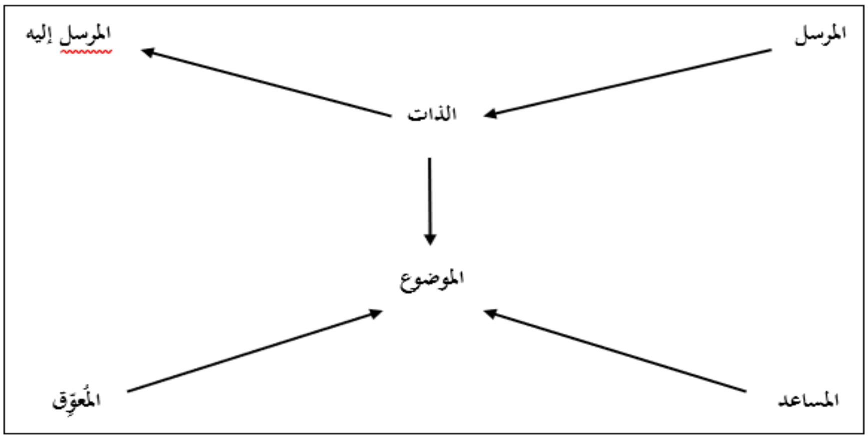

الشكل 2

وتأسيسًا على هذه الخطاطة العامليّة التي خَفُت بريقُها في التحليل السيميائيّ، وصار تطبيقها على النصوص السرديّة لا ماء فيه؛ فإنّ لثنائيّة الذات والموضوع مركزيّة في السيميائيّات العامليّة. وبما أنّ موضوع العالم والإدراك في ذاته ليس بكيانين سيميائيّين؛ فإنّه يُنظَر إلى الموضوع على أنّه معطى شكليّ قابل للمعرفة عن طريق محدّدات ذات صبغة علائقيّة سواء أتعلق الأمر بين أجزاء الموضوع نفسه أو بينه وبين الموضوعات الأخرى.

لا يعدو "الموضوع" في هذه السيميائيّات السرديّة أن يكون عاملًا يضطلع بإنجاز الفعل أو الذي يقع عليه الفعل. وهو من المصطلحات التي ابتدعها لوسيان تنيير[74] لتدلّ على الكائنات أو الأشياء التي تسهم في الحدث داخل الجملة من حيث إنّها دراما صغرى. إنّ ثنائيّة الذات/الموضوع في الأنموذج العامليّ تعدّ -كما سلف- قاعدة أساسيّة لإنجاز الفعل بعد عمليّة التحريك وحصول عقد أئتمان بين المرسل والذات ووجود رغبة؛ إذ إنّ الموضوع، بل موضوع القيمة هو المحرّك الأساس للفعل، والقبول باجتياز الاختبارات الثلاثة (التأهيليّ والحاسم والممجد).

لا إنجاز للفعل بلا تحريك، ولا تحريك بلا فقد أو إساءة؛ لأنّ الحياة لا تثبت على إيقاع واحد، فمن سرّه زمان ساءته أزمان، يوم لنا، ويوم علينا، وحينما تحصل الإساءة تحرّك الذات برغبة تحدّدها قيمة الموضوع. ففي غياب قيمة الموضوع تتعطّل فاعليّة الرغبة، ويتوقّف التفاوض على عقد الائتمان ترغيبًا أو تهديدًا، ولا تقوم عندئذ للبرنامج السرديّ قائمة، فلا تحرك الذات من أجل إصلاح الإساءة، ولا تحوّل أحوال الذات العاملة، فلا تحتاج إلى طلب العون من المساعد، ولا تدخل في صراع مع المُعوِّق، بل لا تجري أيّ اختبار من أجل إنجاز الفعل حتى وإن توافرت على جهات الكفاية والمعرفة؛ لأنّ غياب الرغبة تُعطِّل جهة الإرادة، وتبطل فاعليّة جهة الوجوب هذه في حالة ما إذا كانت الذات

ليست هي المُرسِل نفسه، ولكن الموضوع كونه طرفا في هذه العلاقة لا يعدو أن يكون عنصرًا في الأنموذج التأسيسيّ على الصعيد المجرّد على خلاف الذات التي هي المحرَّك والمُحرِّك للأنموذج التأسيسيّ المحكَم.

تستند السيميائيّات البُنويّة في النظر إلى الموضوع إلى الرؤية الإبستيمولوجيّة التي أرست قواعدها لسانيّات دو سوسير ويامسلاف النسقيّة ولسانيّات بنفينست التلفظيّة، وهي التي ينطلق منها معجم ڴريماص وكورتاس، ويكون رَدِفَ لهما بعض ما يتوخّونه من تحديد "الموضوع السيميائيّ"، الذي تشيّده الذات المدركة والعارفة بناء على عمليّة التقاطع بين مجموعة من العلاقات. وبما أنّ للذات حضورًا في عمليّة بناء "الموضوع السيميائيّ" في تحديد العلاقة بين العلامة والعالم و"إضفاء الموضوعيّة" عليها، فإنّ السيميائيّات السرديّة تتعامل مع الذات والموضوع كليهما على أنّهما ((وحدتان تركيبيّتان ذات خصيصة شكليّة خالصة))[75]، ويطلق عليها مصطلح "العامل" actant، ويتجليان في ملفوظات الحالة والفعل عبر خصيصة الوصل والفصل والتحويل. ولكن سرعان ما نبّه ڴريماص على "موضوع القيمة"، ولهذا التنبيه أهميّته في عالم القيّم والسيميائيّات الثقافيّة، ولكن مدار العلاقة بين الذوات والموضوعات على عالم القيم المغلق[76].

يقرّ معجم السيميائيّات أنّ النظريّة السيميائيّة أفادت من تعريفات القيمة من العلوم الأخرى (اللسانيّات والمنطق والاقتصاد والسياسة وعلم الجمال)، ولكنّها ركّزت على المبدأ المحايث وفكرة الاختلاف في تحديد مفهوم القيمة عند دو سوسير الذي كان مدخلًا لمدارسة "شكل المحتوى" عند يامسلاف، ومنعطفًا للخروج من البُنويّة التي وقفت على "شكل التعبير" إلى السيميائيّات. واللافت أنّ ثمّة تمييزًا بين ((قيمة الاستعمال والقيم الأساسيّة))[77]، ويوضح المعجم بمثال على ذلك، إذ يعدّ مطلب الموز عند القرد قيمة أساسيّة. أمّا العصا التي يحصل بها القرد على الموز، فهي قيمة استعمال[78].

لم نُفرِد الحديث عن الموضوع في النظريّة العامليّة إلّا على سبيل الدراسة والتحليل، لأنّ المقصود تعميم هذا المعطى على عالم النشاط الإنسانيّ وقيمه البالغة التنوّع، وبيان العلاقة بين العلامة والعالم من زاوية الموضوع الذي هو أساس الفعل وغايته، ومبتدأه ومنتهاه. فإذا اقتنعت الذات بالعقد، وامتلكت الكفاية، ورغبت في الموضوع تحرّكت لإنجاز الفعل، إذ لا يتحدّد الموضوع إلّا بناء على علاقته بالذات أولًا أي: بين راغب ومرغوب فيه.

تجسّد الرغبة بين الذات والموضوع العالم الدلاليّ للنشاط الإنسانيّ، وتضفي عليه حيويّة في البرنامج السرديّ والتحوّل من ملفوظ الحالة إلى ملفوظ الفعل، ولم يجانب بول ريكور الصواب عندما نبّه على الطابع الإشكاليّ للموضوع، وأكّد ما قررناه سلفًا من الغموض الذي يحيط بمتصوّر الموضوع، ومردّ ذلك في نظره أنّه يقع في محور الرغبة؛ لأنّه يسوّغ الفعل، ويفسّره ويقع في محور التواصل في آن واحد؛ لأنّه يصبح موضوعًا للتبادل.

موضوع القيمة والموضوع الجهيّ:

يقسّم الموضوع بناء على محور الرغبة إلى موضوع القيمة (objet valeur) والموضوع الجهيّ (objet modal). وقد عالج ݣريماص موضوعات القيمة في بحث موسوم بـ: "مشكلة السيميائيّات السرديّة: موضوعات القيمة"، ونشره في مجلّة لغات (ع. 51، س. 1973)، وأعاد نشره في كتابه "في المعنى II: محاولات سيميائيّة" (ص ص. 19-48). ويعدّ هذا البحث منعطفًا في السيميائيّات السرديّة ينضاف إليه البحث الثاني (العوامل والممثلون والصور)، وكذلك "من أجل نظريّة الجهات" (57-95). وفيه عودة إلى موضوع القيمة في السيميائيّات، وما يعنينا علاقة الموضوع بالقيمة من وجهة، وعلاقة الذات بالقيمة من وجهة أخرى. وتصنيفها إلى قيم ذاتيّة وموضوعيّة ومنزلتها في السرد، وأنّ هذه القيم هي صنيع الصيغ السرديّة.

يتألّف المكوّن السرديّ في المحكي من ملفوظات سرديّة (ملفوظات حالة وملفوظات فعل). ولكي يصبح العالم موضع تسريد (narrativisation) يقتضي أن يخضع للعبة وصل القيم وفصلها على صعيد التسلسل على المحور النسقيّ؛ ولكن هذا العالم القيميّ ما ينبغي له إلّا أن يكون مغلقًا؛ إذ في ملفوظ الحالة تحدّد العلاقة بين الذات والموضوع، فإذا كان هناك وصل بينهما صار ملفوظَ حالة وصليًّا، وإذا حدث فصل بينهما، صار ملفوظَ حالة فصليًّا[79].

ملفوظ الوصل: ذ $\cap$ مو

ملفوظ الفصل: ذ $\cup$ مو

تحوّل العلاقة بين الذات والموضوع على مستوى التركيب السرديّ من ملفوظ وصليّ إلى ملفوظ فصليّ أو العكس هو تغيير العلاقة بين ذات الحالة وموضوع القيمة، وموضوعات القيمة تغدو موضوعات رغبة. أمّا الموضوع الجهيّ فهو من الضرورة بمكان لإنجاز الفعل وتحقيق كفاية الذات العاملة لإحداث التحوّل الرئيس، وقد يتمثّل الموضوع الجهيّ في إرادة الفعل أو القدرة على الفعل

ذلك أنّ موضوع القيمة لا يتحقّق إلّا إذا توافرت للذات جهة الكفاية، وهذه الكفاية لا يحقّقها إلّا الموضوع الجهيّ. وهناك سرد يتسيّد فيه الموضوع الجهيّ.

عندما يحدث في سياق التحوّل انتقال علاقة الذات بالموضوع من وضع إلى آخر، فإنّ ملفوظ الفعل إمّا أن يكون تحوّلًا فصليًّا (من الوصل إلى الفصل)، وإمّا يكون تحوّلًا وصليًّا (من الفصل إلى الوصل). ويُرمَز للذات التي تحدث الفعل بـ:(**ذ1**) وملفوظ الحالة الذي يؤدي إلى التحوّل بـ:(**مو1**)، ونمثّل لذلك بما يأتي:

الفعل المحوّل: [ذ**1** ← مو**1** (ذ ∩ مو)]

أو الفعل المحوّل: [ذ**1** ← مو**1** (ذ ∪ مو)]

إنّ التحوّل ذو طبيعة معقّدة سواء أكان الاتّصال بموضوع واحد أم بموضوعين[80]، ولا نريد أن نفصّل في بيان أحوال التحوّل إلّا ما انفصل أو اتّصل بموضوع القيمة داخل برنامج سرديّ يقابله برنامج سرديّ آخر مضاد. ومن المحتمل أن تتعدّد البرامج السرديّة من أجل الظفر بموضوع القيمة الواحد. يعدّ عامل الذات والموضوع والعامل الإجرائيّ والتحوّل من الموضوعات التركيبيّة التي تنتمي إلى القواعد السرديّة المجرّدة، وتشكّل مسارات سرديّة تتوزّع فيها العوامل داخل البرامج السرديّة، وهي تعرف بالأدوار العامليّة التي تؤلّف جدول الموضوعات التركيبيّة الجهيّة التي تضطلع بها العوامل في المسارات السرديّة[81]، وتقترن بالقيم الجهيّة وموضوعات القيمة، وتدور في فلك التركيب السرديّ السطحيّ.

المنعطف التصويريّ: من السرد إلى الخطاب

تجلّت إرهاصات المنعطف التصويريّ في كتاب "في المعنى الثاني" 1983، وفي المقال المشار إليه أعلاه، وفيه بيان للعناصر التي تؤلّف المستوى الخطابيّ وتعالقه مع التركيب السرديّ ذي الطبيعة المجُرّدة، وبالمنعطف التصويريّ تكون عناصر النظريّة السرديّة (سيميائيّات الفعل) قد اكتملت أركانها (التركيب العميق والسطحيّ) بعلاقة التمفصل بين السرديّ والخطابيّ (الممثل والفضاء والزمان والصور)؛ ولكن الإقرار -في نظر گريماص- ((بوجود مستويين -سرديّ وخطابيّ- مستقلين ومتمفصلين له فائدة في حلّ الخطوة المبُهمة لذات السرد المدعوة إلى مواكبة بالتزامن المسارين المركبين المفروض عليها. فمن ناحية يكون البرنامج السرديّ محكومًا بتوزيع الأدوار العامليّة، ومن ناحية أخرى المسار المميّز الذي ينشئه التجليّ الخطابيّ: ذلك أنّه بمجرّد أن تحدّد فيه صورة، فإنّها تقترح تسلسلًا تصويريًّا يكون قسريًّا نسبيًّا))[82]. وبعد هذه المكتسبات فتحت مشاريع جديدة.

إنّنا ندرك العالم انطلاقاً من الصور كونها وحدات معجميّة في الخطاب، ويمكن النظر إليه على أنّه أنموذج لترتيب المقولات التي تشتغل داخل الخطاب، ومنها البنيات التصويريّة علماً أنّ مصطلح الصورة (figure) هنا يعني في مصطلحيّة يامسلاف اللاعلامة، فالبنيات الخِطابيّة بمكونيْها التركيبيّ والدلاليّ وهي لا تقابل كلمة (image)، بمعنى أنّ الخطاب لا يرتقي إلى البنية التصويريّة ما لم يتحدّد تحديدًا إدراكيّاً على صعيد التركيب الخطابيّ (الفضاء والزمان والممثلين)، فينتقل من عالم التجريد إلى عالم التجسيد عبر السيرورة التخطيبيّة (Discursivation) التي تتجلى في الدلالة الخطابيّة (الموضوعاتيّ والتصويريّ). والتجسيد هو سيرورة ثقافيّة وإيديولوجيّة تؤثث العالم بالقيم التي لا تكتسب وجودها إلّا من علاقات التركيب أو هي بتصنيف تشالرز ويليام موريس (1901- 1979) Charles William Moriss ما يندرج في السيميائيّات التركيبيّة.

يرتكز البعد التصويريّ الذي نعتقد أنّه منعطف لافت في النظريّة السيميائيّة على قدرته في معاينة العالم الخارجيّ وإدراكه عن طريق الحواس، ويتّبع تراتبيّة سلميّة في التحليل السيميائيّ للخطاب عن طريق مسار التحليل بالمقوِّمات (السيميّ) والصور والتصويريّ والتشكيل الخطابيّ، وهكذا ينتقل المسار التوليديّ (Parcours génératif) للدلالة من عالم السرد المجرّد إلى عالم الخطاب المجسّد. ولكن الصور في ذاتها لا يمكن أن تستحضر لنا العالم ما لم تخرج من دائرة العلامة إلى فضاء الخطاب؛ لكونها ستبقى معزولة في قفص المعجم من حيث إنّها مجرّد وحدات معجميّة تجلّت أهميّتها في سيميائيّات الأهواء والكلام، ولا تنتقل إلى التركيب إلّا إذا انخرطت العلامات في علاقة بعضها ببعض حسَب المسار التوليديّ للدلالة، وهذا الانخراط يحرّرها من قفص المعجم، ويدفع بها إلى المسار التصويريّ (Parcours figuratif) الذي هو عبارة عن علاقة تجمع بين الصور، وتضفي عليها الانسجام والحيويّة بطريقة تناظريّة، بحيث يحفظ للبرنامج السرديّ نسقيّته.

خاتمة:

إنّ العلاقة بين العلامة والعالم ليست من طبيعة أنطولوجيّة واحدة فكلمة الدائرة كما يقول باروخ اسبينوزا (1932- 1677) Baruch Spinoza ليست هي الدائرة[83]، وهذا ينسحب على مقولة التمثيل التي لا ترقى إلى علم المطابقة سواء أكانت رموزًا أم أيقونات. علمًا أنّ ((الرموز الفرويديّة هي بالأساس أيقونات وهي قادرة بذلك على تعيين موضوعات تشبهها من بعض الجوانب فقط))[84]. فهي قائمة على فكرة المشابهة والمجاورة بما في ذلك المؤشرات، فالدخان لا يطابق النّار لكون هذا النوع من العلامات

الطبيعيّة عند أوغسطين ليس وراءه قصد من قِبَل النفس[85]. وعنده أنّ العلامة موضوع ماديّ بمعنى أنّها "شيء". وأنّ العلاقة بين العلامات والأشياء تقوم على أساس الاستلزام كما هو شأن المؤشرات. ويقتضي بعضها العلامات المرئيّة التي تشترط النور، فلا ينفع استدلال بوجود النار من دون رؤية الدخان أو شمّ الرائحة أو إحساس بحرارة زائدة في محيط ما هو قابل للاحتراق. وقد كان الموضوع في سيميائيّات بورس على الرغم من غموضه بالغ الثراء.

قامت السيميائيّات البُنوية التي تستند إلى دو سوسير ويامسلاف على أساس التباين والاختلاف بين العلامة وموضوع العالم الذي تمثله العلامة أو تصفه. وأنّ اللغة تكتفي بانسجامه الداخليّ وتناغمها مع موضوعها. ومضى الأشياع على هذه العقيدة يثبتون أسسها في النظريّة والتحليل، واقتنعوا أو هكذا بدا لنا أنّهم كذلك باستقلال العلامة عن العالم، وحجّتهم في ذلك اعتباطيّة العلامات، فارتكسوا في وهم المحايثة لا يبغون عنها بديلا. وزيّن لهم هذا الاعتقاد أنّها السبيل الهادي إلى العلم. وهم بذلك ينقضون معتقد سيميائيّات العصر الوسيط التي ارتقت فيها العلامة إلى المقام الأسنى ألا وهو الرمز؛ لأنّ كلّ العلامات دالة، وهي في خدمة اللاهوت المسيحيّ، ما سيميائيّات أوغسطين إلّا شاهد على ذلك.

لقد كانت الظاهراتيّة بمثابة المطرقة التي أيقظت السيميائيّات المحايثة من سباتها العميق، ومن الأوهام التي زينتها لهم النزعة العلميّة (scientisme). إنّ هذه اليقظة كانت مبكرة، وبدأت طلائعها مع مقالة "الراهنيّة السوسيريّة"، والإشارات الطيّبات في الفصول الأولى من "الدلاليّات البُنويّة" التي أشارت إلى موضوع الإدراك من حيث هو الدلالة التي تقع خارج اللغة. وفيه وقوف على ظاهراتيّة موريس ميرلوبونتي؛ ولكن المحطة العمليّة التي أراد فيها ڪريماص أن يضع حلّا لمعضلة "موضوع العالم" أو "مرجع العلامة" هي مقالة "شروط من أجل سيميائيّات العالم الطبيعيّ" التي لم تلق حظها الأوفر من قبل الأشياع، ولم يُخف شيخ المدرسة امتعاضه من ذلك، وإحباطه من الأتباع؛ بيد أنّ الجيل الجديد من سيميائيّ مدرسة باريس وبمباركة الشيخ أحدثوا اختراقًا ملحوظًا في العناية بالعالم المحسوس وبحالات النفس وبسيميائيّات الموضوع، ولكنّهم لم يبدّلوا تبديلًا، واكتفوا بسميأة المرجع.

والذي ينبغي أن ينبه عليه كلّ غافل أو متسرّع في الحكم أنّهم لم يكونوا بدعًا فيما كانوا يلهجون به؛ لأنّ السيميائيّات كما قال حبرها الأكبر ش. س. بورس ما هي إلّا تسميّة أخرى للمنطق، وأنّ الاستنتاج المنطقيّ الصحيح مستقلّ على العالم، وأنّ الصدق فيه صوريٌّ. وفي المقابل إنّ الاستدلال

والاستنباط المنطقيّ ينصرف إلى المحتوى القضويّ الذي يتطلب أن نأخذ التلفّظ بأركانه ومكوّناته في الحسبان، ونختبر صدق ما تقوله العلامة (الجملة/الملفوظ/الخطاب) عن العالم. فالقضيّة بموضوعها ومحمولها عليها مدار العلاقة بين العلامة والعالم.

***ملحوظة: أنا مدين لكل مرجع قرأته، ولم أقتبس منه.**

[1] - وفي أبحاث سابقة كنا نقابله بالمفهوم على ما هو شائع في الاستعمال، ونخص (notion) بالمفهوم، وندرك أنّ هذا التمييز لا يزيل الغموض الذي يكتنف المصطلح؛ ولكن أن يكون هناك انسجام داخل العائلة اللغويّة لكلمة متصوّر وتصور وصورة وتصوير. وهو ما سيأتي بيانه في هذا البحث.

[2] - ألكساندر أفاناسيفيتش بوتيبنيا، الفكر واللُّغة. تر. تحسين رزاق عزيز، الجزائر وبيروت، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، ودار الروافد الثقافية- ناشرون، ط. 1، 2020، ص. 164.

[3] - يُترجمه خليل أحمد الخليل (*concept*) بالمفهوم، ولكنّه في المقابل يترجم (*conceptation*) بالتصوّرات والتفهّم والتمفهم. وعنده أنّ المتصوّر يقابل (*concevable*). ينظر موسوعة لالاند الفلسفيّة، ص ص. 194-196.

[4] - (extension) وبالإنجليزيّة (denotation).

[5] - أبو عبد الله الخُوارزميّ، مفاتيح العلوم، تصحيح: إدارة الطباعة المُنيريّة، القاهرة، مطبعة الشرق، ط. 1، 1342 هـ، ص. 2.

[6] - عبد الرؤوف المناويّ، التوقيف على مهمات التعاريف، القاهرة، دار عالم الكتب، ط. 1، 1990، ص. 319. والشريف الجرجانيّ، التعريفات، تح ودر. محمد صديق المنشاويّ، القاهرة، دار الفضيلة، تاريخ الإيداع 2004، ص. 199.

[7] - الشريف الجرجانيّ، التعريفات، مص. سابق، ص. 199.

[8] - ومن معاني كلمة "وضع": الإقامة والولادة والرفع والطرح والخفض والبسط والإظهار والخلع والإلقاء. ولها شواهد في القرآن الكريم.

[9] - أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفيّة، ص ص. 896-897.

[10] - - أمبرتو إيكو، العلامة: تحليل المفهوم وتاريخه، تر. سعيد بنگراد، مر. سعيد الغانمي، مرجع سابق، ص. 97.

[11] - أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفيّة، ص. 897.

[12] - Renie Descartes, Méditations métaphysiques, présentation, bibliographique et chronologie par Jean-Marie Beyssade et Michelle Beyssade, III, Paris, éd. Flammarion, 1992, p. 94.

[13] - جلال الدين السيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تح. محمد إبراهيم عبادة، القاهرة، دار مكتبة الآداب، ط. 1، 2004، ص. 71.

[14] - جلال الدين السيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تح. محمد إبراهيم عبادة، مرجع سابق، ص. 72.

[15] - أمبرتو إيكو، العلامة: تحليل المفهوم وتاريخه، تر. سعيد بنگراد، مر. سعيد الغانمي، مرجع سابق، ص. 97.

[16] - E. Kant, Critique de la raison pure, in Œuvres philosophiques, Tome I, Gallimard (Bibliothèque de la Pléiade), (1980) [1781, 1787].

[17] - Loïc Depecker, Christophe Roche, Entre idée et concept: Vers l'ontologie, in Langages, 2007/4 n° 168, p. 107.

[18] - Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique Générale, Edition préparée par T. de Mauro, Payot, Grande bibliothèque, 1995,

[19] - Joseph Courtès, Analyse Sèmiotique du discours: De l'énoncé á l'énonciation, Paris, éd. Hachette, 1991, p. 10.

[20] - Emile Benveniste, Problèmes de linguistique, 2, Paris, éd. Gallimard, 1974, p. 64.

[21] - ويسمى أيضًا المبتدأ والفاعل ونائب الفاعل مسندًا إليه.

22 - سيبويه، الكتاب، تح. وشر. عبد السّلام محمّد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط. 3، 1988، 126/2.

23 - سيبويه، الكتّاب، تح. وشر. عبد السّلام محمّد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط. 3، 1988، 23/1.

24 - أبو البقاء الكفويّ، الكليّات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أعدّه للطباعة عدنان درويش ومحمّد المصريّ، بيروت، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط. 2، 1998، ص. 100.

25 - أبو البقاء الكفويّ، الكليّات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مصدر سابق، ص. 827.

26 - جلال الدين القزويني الخطيب، التلخيص في علوم البلاغة، تح. عبد الرحمن البرقوقي، بيروت، دار الفكر العربي، ط. 1، 1904، ص. 37.

27 - جلال الدين القزويني الخطيب، التلخيص في علوم البلاغة، مصدر سابق، ص. 38.

28 - ابن سينا، النجاة، مصر، مطبعة السعادة، 1331 هـ، ص. 17.

29 - ابن سينا، النجاة، مصر، مطبعة السعادة، 1331 هـ، ص. 18.

30 - ابن سينا، النجاة، مصر، مطبعة السعادة، 1331 هـ، ص. 18.

31 - ينظر أحمد يوسف، السيميائيّات الواصفة: المنطق السيميائيّ وجبر العلامات، الجزائر، وبيروت، منشورات الاختلاف، الدار العربيّة للعلوم، والمركز الثقافيّ العربيّ، ط. 1، 2005، ص ص. 45- 53.

32 - روبير بلانشي، المنطق وتاريخه من أرسطو حتى راسل، تر. خليل أحمد خليل، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات وللنشر والتوزيع، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعيّة، ص. 245.

33 - Antoine Arnauld et Pierre Nicole, La logique ou l'art de penser, Suivie des trois fragments de Pascal, trad. Charles Jourdain, Paris, éd. Hachette, 1861, p. 156.

قسّم راموس Ramus المنطق إلى التصوّر والحكم والبرهان والمنهج. ينظر عبد الحمن بدوي، مناهج البحث العلميّ، الكويت، وكالة المطبوعات، ط. 3، 1977، ص. 4.

34 - سيلفان أورو، فلسفة اللغة، تر. عبد المجيد جحفة، بيروت، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط. 1، 2010، ص. 50.

35 - سيلفان أورو، فلسفة اللغة، مرجع سابق، ص. 51.

36 - روبير بلانشي، المنطق وتاريخه من أرسطو حتى راسل، مرجع سابق، ص. 253.

37 - Antoine Arnauld et Pierre Nicole, La logique ou l'art de penser, op. cit., p. 89.

38 - Ibid., p. 89.

39 - Ibid., p. 89.

40 - Ibid., p. 94.

41 - Ibid., p. 95.

42 - أنطوان أرنولد وبيير نيكول، المنطق أو فن توجيه الفكر، تر. عبد القادر قنيني، الدار البيضاء، المركز الثقافيّ العربيّ، ص. 184.

43 - ابن سينا، النجاة، مصر، مطبعة السعادة، 1331 هـ، ص ص. 3-4.

44 - ابن سينا، النجاة، مصر، مطبعة السعادة، 1331 هـ، ص. 19.

45 - فرفريوس، إيساغوجي، نقل أبي عثمان الدمشقيّ، تق. أحمد فؤاد الأهواني، القاهرة، سوسن للنشر، ط. 1، 2021، ص. 87.

46 ينظر أحمد يوسف، السيميائيّات الواصفة: المنطق السيميائيّ وجبر العلامات، مرجع سابق، ص ص. 117- 153.

47 - Charles Senders Peirce, Écrits sur le signe, trad. G. Deledalle, Paris, ed. Seuil, 1987, p. 123.

48 - ابن سينا، النجاة، مصر، مطبعة السعادة، 1331 هـ، ص. 12.

49 - له جسم ورأس حصان وقرن وحيد في جبهته.

50 - وحش خياليّ له رأس أسد، وذيل تنين.

51 - voir Claudine Tiercelin, Le vague de l'objet, Cruzeiro Semiotico, janvier 1991, n°14, p. 30.

52 - Claudine Tiercelin, Que signifie: Voir rouge? La sensation et la couleur selon Peirce, Archives de Philosophie 47, 1984, p. 424.

53 - ((العلامة هي التي تحيل على الموضوع الذي يدل عليه دلالة تقريريّة "dénote"؛ لأنّها متأثّرة واقعيًّا بهذا الموضوع)). [ES: 2.248, 140]. ويعود جيرار دلودال إلى النصوص الأصليّة لبورس والتي هي بين أيدينا، ولكن كما أوضحنا أنّ مصطلحات بورس معتاصة على أهلها وأهل الاختصاص، فما بالنا نحن الفقراء معرفة ولغة.

- Collected Papers de Peirce: Cambridge, Mass., Harvard University Press, vol. 1-6, Charles Hartshorne et Paul Weiss, éd., 1931-1935; vol. 7-8, Arthur W. Burks, éd., 1958.

54 - Gérard Deledalle, Traduire Charles S. Peirce. Le signe : le concept et son usage, in L'agora de la traduction, Volume 3, numéro 1, 1er semestre 1990, p. 17.

55 - Ibid., p. 17.

56 - Ibid., p. 19.

57 - Claudine Tiercelin, Que signifie : Voir rouge? La sensation et la couleur selon Peirce, Archives de Philosophie, op. cit., p. 428.

58 - ينظر فلويد ميريل كيف، مفهوم تشارلز ساندرز بيرس للإشارة، كتاب "دليل راوتليدج لعلما السيمياء واللغويات"، تر. هبة شندب، بيروت، المنظمة العربيّة للترجمة، ط. 1، 2016، ص. 75.

59 - القاضي النعمان، المجالس والمسايرات، تح. الحبيب الفقي وإبراهيم شبّوح ومحمد اليعلاوي، بيروت، دار المنتظر، ط. 1، 1996، ص ص. 319-320.

60 - Charles Senders Peirce, Écrits sur le signe, op. cit., p. 76.

61 - Ibid., p. 140.

62 - - أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، تر. أحمد الصمعي، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، ط. 1، 2005، ص. 246.

63 - أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، مرجع سابق، ص. 67.

64 - Charles Senders Peirce, Écrits sur le signe, op. cit., p. 54.

65 - Veron Eliseo. La sémiosis et son monde. In: Langages, 14e année, n°58, 1980, p. 73.

66 - Lucien Tesnière, Éléments de syntaxe structurale, Klincksieck, Paris, 1988, pp. 323-360.

67 - Algirdas Julien Greimas, Sémantique structurale, Paris, éd. puf, 1986, pp. 172-221.

68 - Ibid., p. 171.

69 - Lucien Tesnière, Éléments de syntaxe structurale, op. cit., p. 102.

70 - Algirdas Julien Greimas, Sémantique structurale, op. cit., p. 174.

71 - Ibid., p. 174.

72 - Ibid., p. 177.

73 -Anne Ubersfeld, Lire le théâtre, Paris, éd. Éditions sociales, 1977, 1982, p. 64.

74 - Lucien Tesnière, Éléments de syntaxe structurale, op. cit., pp. 105- 115.

75 - A. J. Greimas et J. Courtès, Sèmiotique; Dictionnaire raisonnè de la thèorie du langage, Paris, èd. Hachette, 1993, actant.

76 - A. J. Greimas, Du sens II: Essais sémiotiques, Paris, éd. Seuil, 1983, p. 32.

77 - A. J. Greimas et J. Courtès, Sèmiotique; Dictionnaire raisonnè de la thèorie du langage, valeur.

78 - Ibid., valeur.

79 - A. J. Greimas, Du sens II: Essais sémiotiques, op. cit., p. 28.

80 - Ibid., pp. 32/39.

81 - A. J. Greimas et J. Courtès, Sèmiotique; Dictionnaire raisonnè de la thèorie du langage, rôle.

[82] - A. J. Greimas, Du sens II: Essais sémiotiques, op. cit., p. 61.

[83] - Sylvain Auroux, J. Deschamps et D. Kouloughli, La philosophie du langage, op. cit., p. 83.

[84] - أمبرتكو إيكو، العلامة: تحليل المفهوم وتاريخه، تر. سعيد بنگراد، مر. سعيد الغانمي، مرجع سابق، ص. 76.

[85] - Sylvain Auroux, J. Deschamps et D. Kouloughli, La philosophie du langage, Paris, ed. PUF, 1996, p. 86.

مكتبة البحث:

مراجع عربيّة:

- أحمد بن محمّد النعمان، المجالس والمسايرات، تح. الحبيب الفقي وإبراهيم شبّوح ومحمد اليعلاوي، بيروت، دار المنتظر، ط. 1، 1996.
- أحمد يوسف، السيميائيّات الواصفة: المنطق السيميائيّ وجبر العلامات، الجزائر، وبيروت، منشورات الاختلاف، الدار العربيّة للعلوم، والمركز الثقافيّ العربيّ، ط. 1، 2005.
- ألكساندر أفاناسيفيتش بوتيبنيا، الفكر واللُّغة. تر. تحسين رزاق عزيز، الجزائر وبيروت، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، ودار الروافد الثقافية-ناشرون، ط. 1، 2020.
- أنطوان أرنولد وبيير نيكول، المنطق أو فن توجيه الفكر، تر. عبد القادر قنيني، الدار البيضاء، المركز الثقافيّ العربيّ.
- أبو البقاء الكفويّ، الكليّات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أعدّه للطباعة عدنان درويش ومحمّد المصريّ، بيروت، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط. 2، 1998.
- جلال الدين السيوطي، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تح. محمد إبراهيم عبادة، القاهرة، دار مكتبة الآداب، ط. 1، 2004.
- جلال الدين القزويني الخطيب، التلخيص في علوم البلاغة، تح. عبد الرحمن البرقوقي، بيروت، دار الفكر العربي، ط. 1، 1904.
- روبير بلانشي، المنطق وتاريخه من أرسطو حتى راسل، تر. خليل أحمد خليل، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات وللنشر والتوزيع، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعيّة.
- عبد الرؤوف المناويّ، التوقيف على مهمات التعاريف، القاهرة، دار عالم الكتب، ط. 1، 1990.
- عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلميّ، الكويت، وكالة المطبوعات، ط. 3، 1977.
- أبو عبد الله الخُوارزميّ، مفاتيح العلوم، تصحيح: إدارة الطباعة المُنيريّة، القاهرة، مطبعة الشرق، ط. 1، 1342 هـ.
- سيبويه، الكتاب، تح. وشر. عبد السّلام محمّد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط. 3، 1988، 126/2.
- سيلفان أورو، فلسفة اللغة، تر. عبد المجيد جحفة، بيروت، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط. 1، 2010.
- ابن سينا، النجاة، مصر، مطبعة السعادة، 1331 هـ.
- الشريف الجرجانيّ، التعريفات، تح ودر. محمد صديق المنشاويّ، القاهرة، دار الفضيلة، تاريخ الإيداع 2004.
- فرفريوس، إيساغوجي، نقل أبي عثمان الدمشقيّ، تق. أحمد فؤاد الأهواني، القاهرة، سوسن للنشر، ط. 1، 2021.

- فلويد ميريل كيف، مفهوم تشارلز ساندرز بيرس للإشارة، كتاب "دليل راوتليدج لعلما السيمياء واللغويات"، تر. هبة شندب، بيروت، المنظمة العربيّة للترجمة، ط. 1، 2016.

مراجع أجنبيّة:

- Algirdas Julien Greimas et Joseph Courtès, Sèmiotique; Dictionnaire raisonnè de la thèorie du langage, Paris, èd. Hachette, 1993.
- Algirdas Julien Greimas, Du sens II: Essais sémiotiques, Paris, éd. Seuil, 1983.
- Algirdas Julien Greimas, Sémantique structurale, Paris, éd. puf, 1986.
- Anne Ubersfeld, Lire le théâtre, Paris, éd. Éditions sociales, 1977, 1982.
- Antoine Arnauld et Pierre Nicole, La logique ou l'art de penser, Suivie des trois fragments de Pascal, trad. Charles Jourdain, Paris, éd. Hachette, 1861.
- Charles Sanders Peirce, Collected Papers de Peirce: Cambridge, Mass., Harvard University Press, vol. 1-6, Charles Hartshorne et Paul Weiss, éd., 1931-1935; vol. 7-8, Arthur W. Burks, éd., 1958.
- Charles Senders Peirce, Écrits sur le signe, trad. G. Deledalle, Paris, ed. Seuil, 1987. Claudine Tiercelin, Le vague de l'objet, Cruzeiro Semiotico, janvier 1991, n°14.
- Claudine Tiercelin, Que signifie: Voir rouge? La sensation et la couleur selon Peirce, Archives de Philosophie 47, 1984.
- Emanuel Kant, Critique de la raison pure, in Œuvres philosophiques, Tome I, Gallimard (Bibliothèque de la Pléiade), (1980) [1781, 1787].
- Emile Benveniste, Problèmes de linguistique, 2, Paris, éd. Gallimard, 1974.
- Ferdinand de Saussure, Cours de linguistique Générale, Edition préparée par T. de Mauro, Payot, Grande bibliothèque, 1995.
- Gérard Deledalle, Traduire Charles S. Peirce. Le signe : le concept et son usage, in L'agora de la traduction, Volume 3, numéro 1, 1er semestre 1990, p. 17.
- Loïc Depecker, Christophe Roche, Entre idée et concept: Vers l'ontologie, in Langages, 2007/4 n° 168.
- Lucien Tesniere, Éléments de syntaxe structurale, Klincksieck, Paris, 1988.
- Joseph Courtès, Analyse Sèmiotique du discours: De l'énoncé á l'énonciation, Paris, éd. Hachette, 1991.
- Renie Descartes, Méditations métaphysiques, présentation, bibliographique et chronologie par Jean-Marie Beyssade et Michelle Beyssade, III, Paris, éd. Flammarion, 1992.

- Sylvain Auroux, J. Deschamps et D. Kouloughli, La philosophie du langage, Paris, ed. PUF, 1996.
- Veron Eliseo. La sémiosis et son monde. In: Langages, 14e année, n°58, 1980.